

# المقطف

الجزء الثالث من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ مارس سنة ١٩٤٧

١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٦٦

## التعليم والتربية

منزلة الأمم من الحضارة هي في الأكثر التي تحدد معاني الألفاظ في اللغة التي تتكلمها .  
وانه بما لا ريبه فيه أن معنى بعض الألفاظ ، وبخاصة الألفاظ التي تدل على أشياء أو معاني  
أو مفهومات تتطور بتطور العقلية والفكر ، يتكيف دائماً بمقتضى المناليات التي تقوم في  
رؤوس الطبقة المنتقاة من الجمعية .

لا ننكر مثلاً أن الإنسان البدائي كان يتخير «للتعليم» معنى يتكيف في ذهنه . وتحدده  
دائماً قواسر القدرة الطبيعية على الفهم ، كما تحدده نوازع الوسط الاجتماعي والعادة  
والعرف اللذين تجري عليهما الجمعية التي يعيش فيها ، ومنها تستمد مواد القانون القبلي .  
ولا ننكر أن أيضاً أن هذا المعنى قد تحول وتكيف مرات كثيرة في خلال التاريخ منذ  
العصور القديمة إلى الآن . فالمعنى المدرك من التعليم في مصر القديمة مثلاً غيره في بلاد الكلدان  
أو آشور أو الهند . ذلك بأن هذا المعنى يلابس دائماً صورة تتفق وحاجات كل جمعية ،  
ويخضع كل الخوض لأغراض الحياة المكيّفة بالبيئة والوسط وشكل الحكم . وقس على  
ذلك ما أدرك اليونان من التعليم وما أدرك الرومان ، ثم قارن بين ما أدرك منه في العصور  
الوسطى ، وما يدرك منه في العصر الحديث ، فانك ولا ريب تستبين الفارق البعيد بين جملة  
التصورات التي قامت في كل عصر لهذا المعنى ، مقدرة بمقتضى حاجات كل عصر تقديرأ .

أما معنى التربية ، وإن كان من المعاني التي تشرف عندي معنى التعليم ، فقد ظل في جميع العصور تابعاً للمعنى المدرك من التعليم . وإذا صحَّ ما أذهب إليه من أن التربية هي في جوهرها « ترويض النفس على تطبيق العلم » ، استطعنا أن ندرك كيف يتبع المعنى المدرك من التربية المعنى المدرك من التعليم ، وكيف أن التعليم يفقد جماع الفائدة منه ، إذا هو لم يطبق على قواعد مثالية من التربية .

ولم يمر عصر من العصور كانت الجمعيات البشرية فيه أحوج منها إلى إدراك الرابطة بين التعليم والتربية من زماننا هذا . فقد تعقدت أوجه الحياة بنشوء هذه الحضارة المادية الاقتصادية ، تعقداً لمسنا معه ضرورة أن يكون لكل جمعية من الجمعيات مرامي مثالية توجه حياتها وتقود خطواتها في الحياة ، بحيث تصبح في طريق الجمعية بمثابة المصابيح المنيرة في ليل الليل ، وعندي أننا لم نقصّر في التعليم ، بل أقول أننا تطرّفنا في شجن برأيه بالموادّ حتى أصبحنا نشكو مرّ الشكوى من ضخامة المعلومات ، ومن عدم القدرة على خلق نفسيّات مروضة على تطبيق العلم . وإذا فقدت النفوس القدرة على تطبيق العلم ، تطبقاً مثاليّاً من ناحية الأخلاق ، أصبح أداة : إمّا متعطلة ، وإمّا فاسدة .

لا ينبغي لنا أن نفعل مع هذا عن أننا نجتاز عصر انتقال . غير أنني لا أميل إلى القول بأن « عصور الانتقال » من الظواهر التي تتخذ سبيلاً إلى الاعتذار عن سوء حالة التربية ، كما يجمع على ذلك كل المفكرين في هذه الناحية . حقيقةً إن عصور الانتقال تختلف في جميع مظاهرها عن عصور الاستقرار ، ولكن إلى جانب هذا هي عصور تقدم وارتقاء ، تدور فيها عجلة التطوّر بأسرع مما كانت تدور ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها قد تدور خلال عصور الانتقال بأسرع مما تدور في بعض عصور الاستقرار . ومن هذه الناحية تكون أهميتها ، بما يكون لها من سلطان ثابت قد يدفع بطابعه عصوراً برمتها من المستقبل . وإني لأقول ، وأستطيع أن أثبت قولي ببراهين منطقية وتاريخية عديدة ، أنك إذا أردت أن تدرس حالات أمة ضربت في المدنية ، ونشأت نظمها حكومية ثابتة ، وكوّنت حياة مؤلفة ومعاهد مستقرة ، وأن تدرك شيئاً من سر ذلك كله ، فعُد إلى عصر انتقالها ، تجد أن جذور ذلك كله إمّا تعود إلى ذلك العصر ، ففيه تغرس البزرة وفيه تفرخ ، وترى أن كل



الثار التي تحملها تلك الدوحة فيها طعموم مختلفة من أثر التربة التي نبتت فيها وطبيعة الماء والهواء، وبالجملة من طبيعة « الوراثة الاجتماعية » التي تحملها تلك البزرة الأولى، وتسلم بها الى مستقبل الاجيال .

هذا كله يحملي على القول بأن الذين يعتذرون عما نألس في مجتمعنا من مظاهر القلق والحيرة، بأننا نجتاز « عصر انتقال » غير آبهين لما تحمل عصور الانتقال في تضاعيفها من زور المستقبل، إنما يرتكبون أخفش الخطأ في أسلوب تفكيرهم تلقاء العصر الذي نعيش فيه، ذلك بأن عصر الانتقال هذا، هو أجدر العصور بأن تعالج فيه مشكلاتنا الاجتماعية التي سيتمخض عنها المستقبل . هو العجينة التي منها سوف يتكوّن المجتمع المقبل، ومنها سوف يأخذ صورته، وبكل عناصرها سوف يتأثر ويعمل، وبما فيها من جرائم سوء سوف يمرض، وبما تحوي من جواهر القوة سوف يتسلّح .

ولكن هل من قوة نستطيع بها أن نحتكم في عصر الانتقال؟ وهو عصر ثور فيه النزعات، وتكثر المخاوف، وتقل المحامد، وتزيد المناعب، وتنقص فيه الثمرة عن مقدار الجهد المبذول، وتطير فيه الآمال كأنها الأشعة الخاطفة، وتظهر فيه قوى الانبعاث هياجة متطرفة، وثابة لا تؤد في ولا هواة، وتنطوي فيه القوة المثالية على نفسها . وتجمع فروع السلحفاة في صدفتها، بينما تخلق في سماء المجتمع المطامع والمكروهات والمادية الجامحة؟

\*\*\*

غالب ظني ان هذه الظواهر يعتذر الاحتكام فيها بحيث يمكن محوها محواً تاماً، أو حتى الافلال من قوتها بما يذهب ببعض مفاسدها . هي أشياء من خلق عصر الانتقال ومن طبيعته . هي سر من أسرارها، وخلة من خلاله . على أن غاية ما في مستطاع مصلح أن يطلب من المفكرين في مجتمع يجتاز عصر انتقال، هو أن يلجأ الى الممكن ويترك المستحيل . والممكن هو أن يوجه القوى المنبعثة، لا الى الحاضر لأن الحاضر مفروغ منه، ولكن الى المستقبل . فان مثل الامة في عصر الانتقال كمثل حامل أخذها الخاض . إنها ستلد قطعاً أمّا جنينها فهو النمرة التي سوف يتلقاها المستقبل . وبحسب تربيته قبل تعليمه، سيتكوّن ذلك المستقبل . لهذا أعتقد أن عصر الانتقال هو العصر الذي تكن فيه كل عناصر



المستقبل . ومن هنا تكون أهميته وشأنه ، وبهذا ينبغي أن يوزن وأن يقيّم تقييماً فلسفياً منالياً . وعلى مقتضى هذا التقييم يمكننا أن نزن مستقبل الأمة .

كل هذا يؤيد تعريفنا الذي وضعناه « لمعنى التربية » ، إذ قلنا أنها « ترويض النفس على تطبيق العلم » . ولست أقصد « بتطبيق العلم عملياً » ، فالطبيب يطبق علمه على المريض ، وكذلك المهندس والمحامي وغيرها ، فإن كل متعلم إنما يطبق العلم على موضوع علمه ، وذلك كله من مقتضيات التعليم . ولكني أقصد تطبيق المثاليات الخلقية على مقتضيات العلم ، أقصد أن يكون لكل علم بشيء حالة نفسية تلاسه ، بحيث تكون من عناصر التطبيق العملي . أقصد أن تكون مكارم الأخلاق ، ومعاني السلوك الأمثل ، هي رائد العالم عند تطبيق علمه ، والصانع في صناعته ، والزارع في حقله ؟ وعلى الجملة أن يكون التصور الذي يقود الفرد في الحياة خلقاً فيه مزيج من ثابت العلم ومثاليات الخلق .

\*\*\*

إن الطريق الذي نتبعه في التعليم الآن طريق متوج . نعني بشحن الأذهان ، ونقل عن ترويض النفوس . نعمل على نقل المعلومات إلى الذهن حتى نفعمه ، ونترك الروح في فوضى وفي عماء . نخرج أطباء ومحامين وزرّاعاً ومهندسين تكاد تكتمل معلوماتهم التي تؤهلهم أن يعالجوا ما اختصّ بكل منهم من مشاكل الحياة ، ولا نفرس فيهم المعاني النفسية السامية التي ينبغي أن تطبق هذه المعلومات على مقتضاها . فنحن نعلم ولا نهذب . مثلنا في ذلك كمثل من أخذ بالعرض وترك الجوهر . فكأنما نحن نخرج من أبنائنا متعلمين أشبه بعبي يقدّمون مقعدون .

وهل أدلّ على ذلك من العنوان الذي نصرّفه على الوزارة التي تعني بالتعليم فنسميها « وزارة المعارف » وأجدر بها أن تسمى « وزارة التربية » لعل الأذهان تنصرف بوحى العنوان إلى تربية النفوس باعتبارها الجوهر ، وجعل « المعارف » هي العرض .

أ- معامل مظهر

إن بحسب  
الابحاث الر  
في أوزان ال  
تلك الأوزان  
الاساس كان  
لوحد صحت  
نظامهم بذا  
النظائر . فو  
يشابهه في  
في فعلها ال  
الذرية . فال  
الكترون في  
ولكن وز  
وقد أدرك  
الحقيقي ، و  
وزن الكلو  
و ( ٣٧ ) بذ  
كل العناصر  
مهما تعدد



## النظائر وكيمياء النواة

إن بحث النظائر Isotopes، يرتد الى العقد الثاني من هذا القرن. وقد كانت تلك الابحاث الرائعة السبب المباشر في انقاذ العلماء من حيرة عظيمة ظلت تساورهم وقتاً طويلاً في أوزان العناصر الذرية. كان الكيميائيون لا يدرون كيف يعملون وجود الكسور في تلك الأوزان، وكانوا يعلمون بأن وحدة الوزن الذري هي وحدة صحيحة الرقم. وعلى هذا الأساس كانوا ينتظرون أن تكون أوزان العناصر صحيحة الأرقام أيضاً ما دامت هي مكررات لوحدة صحيحة الرقم. ولكن المقاييس الدقيقة كانت تكذب فرضهم، وتخب آمالهم عندما نطالعهم بنتائج مشفوعة بالكسور. وظل هذا الأمر مستعصياً على أفهام العلماء إلى أن عرفوا النظائر. فوجدوا وعلى رأسهم صُدي وأستن بأن لمعظم العناصر مثيلاً Isotope، أو أكثر يشابهه في خواصه وإشعاعه، ويختلف عنه في وزنه فقط، وبعبارة أخرى أن النظائر تتفق في فعلها الكيميائي وعدد الكتروناتها — الرقم الذري — وتختلف في وحدات أوزانها الذرية. فالكور مثلاً له نظيران لها ذات الفعل الكيميائي، لذرة النظير الأول (١٧) الكترون في المحيط — الرقم الذري — ووزنها (٣٥) ولذرة الثاني (١٧) الكترون أيضاً ولكن وزنها (٣٧) أي بزيادة وحدتين من وحدات الوزن الذري (ذرة الهيدروجين). وقد أدرك العلماء أيضاً بسبب ذلك أن أوزان العناصر وما فيها من كسور ليست هي وزنها الحقيقي، وإنما هي متوسط أوزان نظائرها. فاذا نظرنا الى جدول الأوزان الذرية ووجدنا بأن وزن الكلور الذري (٣٥.٤٥٧) أدركنا أنه متوسط مزيج ذرات نوعية ووزنها (٣٥) و (٣٧) بنسبة ثلاثة الى واحد أو (٧٧) بالمئة للأول و (٢٣) للثاني. وهكذا القول في كل العناصر التي ظهر لها نظائر وهي أكثر من نصف العناصر المعروفة. والخلاصة أن النظائر مهما تعددت لها رقم واحد في جدول الأرقام الذرية يدل على خواص العنصر التي يتميز بها.



فاذا كان وزن القصدير مثلاً ١٨٨٧٠ غنياً أنه متوسط وزن عشرة نظائر مزجت ذراتها بنسب معينة لكل نظير منها وزن خاص صحيح العدد بينما لتلك النظائر كلها رقم ذري واحد وهو (٥٠).

قلنا ان العلماء قالوا أن النظائر تتشابه في فعلها الكيميائي وإشعاعها — أشعة إكس — ولا تختلف إلا في وزنها الذري فقط . فاذا أخذنا ذرتين من الهيدروجين ووزنه (١) ومزجناها مع ذرة أكسجين حصلنا على ماء ، واذا أخذنا ذرتين من الهيدروجين الذي وزنه (٢) — ديوتريوم — ومزجناها مع ذرة أكسجين حصلنا على ماء أيضاً ، وهكذا القول في الهيدروجين الذي وزنه (٣) — تريوتريوم — . وهذا ما نقصده عند ما نقول بأن النظائر مهما تعددت تتفق في فعلها الكيميائي . وهي أيضاً تتفق في إشعاعها وطبوعها ونشاطها الاشعاعي ، بل لها اشعاع واحد يدل على رقم العنصر الذري — عدد الالكترونات — فذرة الهيدروجين لها الكترون واحد ، والهيدروجين الثقيل ووزنه (٢) لذرتيه الكترون واحد أيضاً ، وكذلك الهيدروجين الأثقل وزنه (٣) لذرتيه الكترون واحد . أي ان هذه الأنواع الثلاثة من الهيدروجين إشعاع واحد ، أو بمعنى آخر ان الأشعة السينية المنطلقة من كل من هذه النظائر واحدة . وقال العلماء أيضاً بأن تفاعل النوى يعد ضرباً من التفاعل الكيميائي وهذا صحيح لأن ذلك التفاعل يصحبه طاقة — حرارة — وتغيير في طبيعة الأجسام المتفاعلة . فالتفاعل الذي نعرفه في مختبراتنا هو اتحاد ذرة أو أكثر من عنصر واحد بذرة أو أكثر من عنصر آخر ، بل بحسب العلم الحديث هو تفاعل بين الكترونات الذرات الخارجية البعيدة عن مركز النواة . وهذا التفاعل لا يؤثر في نوى الذرات لقوة تماسكها وشدة ارتباطها العظيم . ولكن بالرغم من قوة ذلك التماسك فقد توصل العلماء الى طرق رائعة تمكنوا بها من إحداث التفاعل في النوى ، فكما أن الالكترونات تحدث تفاعلاً مع غيرها من الالكترونات ، كذلك صلط العلماء وفي طليعتهم راذرفورد العظيم ، النوى على بعضها عليهم يعرفون بذلك كيفية تفاعلها . فاستعملوا نوى العناصر الخفيفة كنواة الهيدروجين . بروتون ، ونواة الهيدروجين الثقيل ، دوتون ، ونواة الهليوم « ألفا » والجسيمات المتعادلة الكهربية . النيوترونات ، الموجودة في كل نوى العناصر — ما عدا الهيدروجين العادي —

وسدّوها الى  
لهم ما أرادوا  
وإذا عرفنا أن  
خطورة تلك  
الكيميائية  
إذا صح هذا  
منطوقها كيمي  
التي ظهرت و  
ونقصده . و  
أنه عندما ن  
واحدة ، وه  
من أحد نظائر  
من المعر  
(٢٣٥) والث  
أنشاء محاولا  
الأورانيوم  
السبب في ص  
هنا ثلاث  
الفعل الكيمي  
الانتباه . فما  
(الأول)  
العلمية يجب  
(والأمر)  
منضطر الى



ومددوها الى مختلف النوى ليصلوا الى ما هناك من سرّ وتفاعل في قلب الذرة . فكان لهم ما أرادوا وعرفوا بالتجارب الكثيرة قرابة عشرين نوعاً من تلك الأفعال الكيميائية . وإذا عرفنا أن قنبلة هيروشيا كانت أول ثمرة عملية من ثمار ذلك البحث الخطير ، أدركنا خطورة تلك البحوث والاهتمام الزائد بها . فمن هذا يظهر لنا نوحان من الكيمياء أو الأفعال الكيميائية ، يستأثر كل نوع بأحد قسمي الذرة ، كيمياء الالكترونات وكيمياء النوى إذا صح هذا التعبير . ولا أدري هل النظريات الكيميائية الحديثة كالنظائر مثلاً يشمل منظومها كيمياء النواة أم لا . فإذا كان الجواب نفيًا وجب أن نعيد النظر في معظم النظريات التي ظهرت وتظهر بعد معرفتنا كيمياء النواة . لأنها لم تخصص نوعاً معيناً فيما ترمي إليه وتقصده . وإذا كان الجواب بالإيجاب ، لزم أن يكون ناموس النظائر عامًا شاملًا ، أي أنه عند ما تسدد قذيفة ما الى نوى مختلف نظائر العنصر الواحد ، وجب أن تكون النتيجة واحدة ، وهذا غير واقع . ولتأخذ مثلاً على ذلك نظائر الأورانيوم الذي تصنع منه بل من أحد نظائره القنبلة الذرية .

من المعروف أن للأورانيوم ثلاثة نظائر وزن أحدها ( ٢٣٤ ) ، ووزن النظير الثاني ( ٢٣٥ ) والثالث ( ٢٣٨ ) وعند ما جرّب علماء أمريكا تجاربهم الواسعة لشر نواة الأورانيوم أثناء محاولاتهم صنع تلك القنبلة وقبلها ، ظهر لهم أن النتيجة الحاصلة من تفاعل نواة الأورانيوم رقم ( ٢٣٥ ) لا تتفق مع النتائج الحاصلة في النوعين الآخرين ، وهذا هو السبب في صنع القنابل الذرية من الأورانيوم رقم ( ٢٣٥ ) ون سواه .

هنا ثلاثة نظائر لها إشعاع واحد يدل عليه رقم العنصر الذري - ٩٢ - ولكن الفعل الكيميائي فيها غير متشابه وهو مخالف لناموس النظائر الصريح ، وهذا مما يسترعي الانتباه . فما تقدم يتضح لنا أمران لا ثالث لهما .

(الأول) أن يشمل ناموس النظائر الفعل الكيميائي في النوى فيهيوي ، لأن النواميس العلمية يجب أن تكون أحكامها كلية شاملة لا تقتصر في معناها ومدلولها على نوع دون آخر . (والأمر الثاني) أن لا يشمل ناموس النظائر كيمياء النواة وتفاعلاتها فيثبت ، وحينئذ منضطر الى التخصيص في قوانين الكيمياء الحديثة ما دام لدينا نوحان من الفعل الكيميائي لأنها



مطلقة وإبدالها بأخرى تخصص فيما ترمي إليه نوعاً معيناً من الفعل، وهذا كما رأينا غير وافع  
 ورب معترض يقول بأن الأفعال الكيميائية في النوى هي من اختصاص علم الطبيعة  
 وليس من اختصاص الكيمياء، لأن الكيمياء قد خصصت قوانينها بالانطباق على الذرات  
 كوحدات مستقلة ولا علاقة لها بالنوى، ولأن النظريات الحديثة التي تتعلق بالإشعاع وتركيب  
 النواة وشحنها وتفككها هي نظريات طبيعية تختص ببحث القوى في النواة ولا علاقة لها  
 بالكيمياء. فنقول له إن هذا لا يمنع بأن تكون التفاعلات في النوى أفعالاً كيميائية  
 ما دام تعريف الفعل الكيميائي ينطبق عليها. ولو اختص علم الطبيعة بمعالجتها. فكما إن  
 بعض البحوث الطبيعية لا تخرج عن دائرة الطبيعيات ولو احتضنتها الرياضة العالية، كذلك  
 الأفعال الكيميائية وكل ما يتصل بهذا البحث من قريب أو بعيد هو ضمن دائرة الكيمياء  
 وتحت كنفها ولا عبرة للآلات الطبيعية التي تكشف لنا كل يوم عن أسرار جديدة وتذل  
 ما استعصى علينا فهمه في كثير من الحالات الكيميائية المستعقدة. فهذه الأدوات الطبيعية  
 أياها هي التي يستعملها العلماء الآن في كافة القضايا العلمية تقريباً. وعلى الأخص البحوث  
 الفلكية والبيولوجية. ومع ذلك يظل كل بحث إحدى حلقات علمه الخاص ولو أضيف إليه  
 كلمة طبيعية، في كثير من الحالات.

أنا أدري بأن التجربة على الشك في إحدى النظريات العلمية ليس بالأمر الهين اليسير، بل  
 مخوف بالمزاق، شائك المسالك. وأنا أدري أيضاً بأن القضايا العلمية الصرفة وخاصة الطبيعة  
 والكيميائية لا تقبل الجدل السفسطي، ولا يؤثر في جوهرها سحر البيان، ومعسول الكلام.  
 فقد تقلص سلطان الفلسفة على العلم، حتى أصبح عاجزاً عن أن يضيف أو ينقض مبدأ في  
 إحدى المسائل العلمية. ولكنني برغم كل ما أدريه من ذلك، أرى نفسي مرغماً بناءً على  
 ما أسلفت من الأدلة والبراهين على الشك إما في صحة ناموس النظائر، أو في سلامة علم  
 الكيمياء من البلبلة، وإنه في حاجة ماسة إلى تنظيم جديد شامل على ضوء البحوث التجريبية  
 الحديثة في نوى الذرات.

السلط

ميريس السرايحه



## الرادار

كيف يشتغل

فلما جمع القراء قبل نهاية الحرب الأخيرة باسم الرادار ، في حين أنه كان موجوداً قبلها ولكنه تطوّر في أثناءها تطورات كثيرة . كان مستعملاً عند الألمان كما كان مستعملاً عند الحلفاء . ولعب أدواراً عظيمة في الحرب . وله نصيب غير قليل في انتصار الحلفاء ، ولا سيما في الدور الأخير حين كان الحلفاء ينزلون جنودهم وعتادهم في نورمندي ( فرنسا ) . وكانوا يشوشون بمهارة فائقة على رادار الألمان لكي يضلّوهم عن الشاطئ الذي كانوا ينزلون فيه . فكانوا يرسلون أشعة تعمي رادار الألمان وينزلون بالهابطات جنوداً من الذي في الشمال لكي يوهمو الألمان أنهم هناك فينزلون فيحولون معظم قواهم إلى تلك الناحية فخلفا الجو للحلفاء عند نورمندي . وما شعر الألمان بحيل الحلفاء إلاّ بعد أن سبق السيف العزل .

كلمة رادار مؤلفة من الأحرف الأولى من هذه الجملة Radio Detection and Ranging ولكن الكُتَيْب الذي تقتطف منه هذا المقال ، وقد طبعته الحكومة الأميركية ثم الحكومة الانكليزية كان يفضل أن تكون من هذه الجملة Radio Direction and Ranging في كلتا الحالتين يبقى الاسم « رادار » Radar

ولا يخفى أن أسلحة الطيران في الحرب الأخيرة لعبت أهم الأدوار كما نعلم . وإذا كانت الحرب خدعة بحسب القول السائر فلاستتار الطائرات بالغيوم والضباب وحلك الليل وثورات الجو مزية عظيمة في الخدعة لأنه يقيّض للطائرات خير فرصة للمباغته ، فلا يدري العدو بمفاجأتها إلاّ وهي تمطر قنابلها . ولكن الرادار قد قضى على هذه المزية للطائرات المفاجئة لأنه كان يخترق هذه المعميات وهذه الحجب مهما كانت كثيفة . فهو خير وسيلة للدفاع ضد الطائرات المعادية .

وقد بلغ الطيران من السرعة نحو نصف سرعة الصوت أو ثلثها . ولذلك لم يعد هزيم الطائرات نذيراً بهجومها لأنها تصل إلى هدفها قبل أن يخرج الخصم لملاقاتها . ولكن الرادار ينذر بقدومها وهي على بعد عدة عشرات الأميال .



ثم إنه يتمدّد جداً على الباصرة أن تكتشف ارتفاع الطائرات المحلقة في طبقات الجو العليا واتجاهها لكي تقصد إليها الطائرات المدافعة أو تسدّد إليها المدافع الأرضية المقاومة ولكن الرادار كفيل بذلك . ليس هذا فقط بل إن الأهداف التي لا ترى لمختلف الأسباب يكتشفها الرادار ويعين مواضعها تعييناً دقيقاً مُحْكَمًا فتتاله بأفضل مما لو أرشد النظر بالمنظار .

منذ أكثر من سنتين كانت طائرة ذات راكبين : للسائق ومساعدته قادمة من ناحية فلسطين . فلما دخلت في جوّ الصحراء اصطدمت بعاصفة رملية هوجاء تعمي الابصار . ولما أوغلت لم يعد سائقها يريان شيئاً حتى ولا عن بعد متر واحد . ولم يعودا يدریان طريقاً للخروج من ذلك الجو الخيف ولا للرجوع منه . وحاولا أن ينزلا الى الأرض فلم يستطعا خوفاً من كارثة الاصطدام والتحطيم وقررا الرجوع ، فكان أشد خطراً ، الى أن نفذ الوقود فحاولا الهبوط . ف وقعت الكارثة التي كانا يجاهدان في اتقاها وهبطا على غير هدى فتحطمت الطائرة وتحطمت معها . فلو كان الرادار في خدمتها فيها واليها اسلما .

لم تقتصر فائدة الرادار على اكتشاف ما في البر والجو من أهداف بل تناولت أهداف البحر أيضاً . ففي وضع السفن ان تستجلي ما دونها من أخطار البحر مهما كان ضباب الجو كثيفاً وكانت الأسلحة البحرية تضرب سفن العدو من غير أن تراها رؤية العين لأن الرادار كان يرشدها إليها على الرغم من كثافة الضباب حتى ولو كانت وراء الأفق . والآن تستطيع السفن والبوارج المجهزة بالرادار ان ترى البر وجباله والمحيطات وبحيراته وأغواره مهما اعترضت الحجب .

انه لجهاز عجيب ذو عدد وعدد من الموظفين تحت نظام أعجب . فكيف يشتغل الرادار ؟

### كيف يشتغل الرادار

اخترع الرادار عن طريق الراديو أو هو تطوّر منه ، بيد انه يختلف عنه بأن جهاز الارمال وجهاز الاستقبال كليهما في بلدة واحدة ، ويندر أن يكون لهما ملك Antenna واحد الارمال والاستقبال . بل لكل من الفريقين ملك واحد خاص به . ولكنهما كليهما في عدة واحدة .

الجهاز المرسل الأشعة الموجبة يرسل الطاقة القوة في ضوء صغير جداً من الوقت ينث هذه الطاقة نقطة واحدة في لحظة لا يُسَمَّر بها تسمى نبضة . يمكن أن تصدر هذه النبضة في جزء واحد من المليون من الثانية .



لا تستغرب هذا ! إن معظم حركات الطبيعة سريعة هكذا . تُستغنى في حنيها من الزمن متتابعة لا تقاس بالثواني بل بأجزاء من المليون من الثانية . الثانية هي وحدة الزمان في نظرنا . وبها نحسب الدقائق والساعات والأيام والسنين والقرون . ولكن تأتينا في نظر الطبيعة قرون بل أدهار . ووحدة الزمن عند الطبيعة هي هذه النبضة الخاطفة . وحسبنا أننا فهمنا هذا . وأمکننا أن نحسب وحدات الحركة ، أي هذه النبضات ، التي سماها بلانك العلامة Quantum ونحن نسميها « المقدار » : وسنرى في الطبيعة الحجب وأغرب من هذا .

بعد كل نبضة يتوقف الجهاز المرسل عن الإرسال هنيهة من الزمان أطول من هنيهة النبضة — يتوقف بعض أجزاء الألف من الثانية إلى أن ينفث النبضة التالية . وفي أثناء الفترة بين كل نبضة وأخرى يكون الجهاز المستقبل طاملاً عمله . فالإشارات التي يستقبلها هي شبهة صدى للنبضات القوية التي أرسلت فانعكست عن الأشباح والأجسام القريبة أو البعيدة . أقرب الأجسام ترد صدى النبضات عاجلاً . والأجسام البعيدة ترد الصدى متأخراً . وهكذا الأقرب أعجل والأبعد أبطأ كما هو مفهوم بالبديهة . إذن فالفترة بين إرسال النبضة واستقبال الصدى تقرر مقدار بُعد الجسم عن الجهاز — من سفينة أو طائرة أو جبل أو بناية الخ .

هذا ممكن لأنه طبيعي أي لأن الفترة هي المدة اللازمة بعودة النبضة التي ترحل بسرعة النور وتعود بها . والنور كما هو معلوم سريع جداً . ولذلك فالفترات المشار إليها قصيرة جداً . وقياسها هو من الخصائص الفنية المختصة بعلم موظفي الرادار . وهو ما لا يستطيع شرحه هنا بل له دراسة خاصة . وهو أحد وسائل محاج الرادار الحديث في معرفة أبعاد الأجسام والأجرام ، بدقة عجيبة . وقد قرأنا في أخبار الصحف في الصيف الماضي أن أحد العلماء أرسل أشعة رادار إلى القمر فعاد إليه صداها وعرف منه المسافة بينه وبين القمر بأدق وأهم مما كان معروفاً عنها .

ولما كان النور يسير بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل أو ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية أو بعبارة أخرى ٣٠٠ متر في جزء من مليون من الثانية ، وكان عليه أن يرحل رحلتين : ذهاباً وإياباً ، فالمسافة من الرادار إلى الهدف — قل أنها ١٠٠٠ متر مثلاً — ترد الصدى في ستة أجزاء من الثانية بعد صدورهما من الجهاز المرسل . هذا مدى قصير بالنسبة إلى الرادار قبل الحرب . أما الآن فصار في الامكان قياس مسافة ٥ أو ٦ أمتار بالرادار بكل تدقيق ، أي في مدة جزء من ٣٠ من المليون من الثانية — أفلا تعجب وتستغرب وتتحير في مقدرة هذا الإنسان الذي استطاع أن يحصي هذه المدة التي هي كأنها لا شيء من الثانية .



إن استعمال النبضات المشار إليها يؤدي وظيفة بسيطة في قياس المدى كما رأيت . بقي أن نعلم كيف يرشد الرادار إلى الجهة التي يكون فيها الهدف .

يرشد الرادار إلى الهدف بتجهيزه أصلاً بالتوجيه التي ترسل النبضات في حبال شعاعية كأشعة الأنوار إلى الكشافات التي كنا زارها منطلقة من أجهزة على الأرض إلى الجو في مدة الحرب لاستكشاف طائرات العدو .

يمكن إدارة هذا السلك الناقى Antenna ( كسلك الراديو الذي نراه على السطوح ) إلى جهات مختلفة في أثناء إرسال النبضات إلى أن يعود صدى (شعاعي) عن جسم ما فيلفت النظر إليه كطائرة أو سفينة أو بحر أو بحيرة أو جبل الخ . فيكتشف الهدف المراد . وحينئذ يمكن الحصول على ومضة أو نبضة راجعة قوية كصدى للنبضة التي صدرت إذا وجهنا طرف السلك المستقبل إلى الهدف الذي وقعت عليه الشبهة .

فاتجاه السلك الذي هو نفس اتجاه الهدف يمكن أن يقرأ أو يشبه في لوحة الرادار (التي ذكرت سابقاً) وبدل على السفينة أو الموقع أو اتجاه الطائرة المقبلة أو المدبرة الخ . ثم يوجه بموجبه إطلاق القنبلة على العدو أو قطع الطريق عليه أو قضاء أي غرض من الأغراض المبتغاة وهناك وسيلة أخرى للاستدلال البصري على موقع الهدف واتجاهه وبعده . وهي استعمال الآلة المسماة « المرشد إلى الموقع » Plan Position Indicator بواسطة هذه الأشعة ترسم أصداء الرادار خريطة على صفحة طرف أنبوب تمر فيه شعاع الكاثود الواردة عن يد السلك المستقبل المشار إليه آنفاً .

وهنا لا بد من أفهام القارئ ماذا يراد بالكاثود هذا . الكاثود هو القطب السلي من أي مجرى كهربائي ( وضده الآفود أي الطرف الايجابي ) . والكاثود ينثف فتات الكهروونات تعبر من هذه النبضات المذكورة آنفاً بشكل شعاعات ينثفها بقدر حدة التيار الذي يرد إليه . فإذا كان السلك الناقى من الرادار يلمس هذه الأصداء (أو هي تصدمه) فهي بطبيعة الحال تنتهي عند الكاثود المتصل بالسلك الملتقط . ولذلك ترسم هذه الأصداء على اللوحة التي في فم أنبوب الكاثود . ولما كانت الأصداء مختلفة القوة والمدّة فتظهر على لوحة الكاثود مختلفة الاشكال أيضاً ( كما أن الأصوات في الراديو تصدر مختلفة النبرات بسبب اختلاف قوة الصوت وحدته ) .

والموظف العامل في الرادار يمكنه أن يتصور نفسه كأنه مقيم فوق الجهاز سواء كان في سفينة أو في طائرة أو على الأرض وناظراً إلى المنظر الذي تحته .  
ومها كثرت أو قلت الأهداف التي يتجه إليها الرادار أو يوجه إليها صلك الارمال،



فكل هدف يلقي على صفحة أنبوب الكاثود المذكور نقطة ضوء خاصة به . وشكل هذه النقطة الضوئية واتجاهها وبعدها عن المركز تدل على مدى الهدف أو بعده وحقيقته . فاختلاف النقط الضوئية ومواقعها حول المركز يعطيك خريطة الأهداف جميعاً على اختلاف أبعادها وأشكالها .

ليست هذه الخريطة كما ترى في صفحة التلفجن Television أي صورة السفينة أو صورة الطائرة الخ . وإنما هي علامات متباينة يفهمها الذين درسوها ومارسوها والذين اختبروها قبلهم واستقروها من موظفي الرادار كأنها لغة قائمة بذاتها يفهمونها فهماً أكيداً .

أعجب من كل ذلك أن اصداء الرادار تريك وتفسر لك الأشباح عن بُعد أمتار . ففي البارحة حيث يقتضي الأمر معرفة المدى الذي يطلق إليه مدفع ذي ١٦ بوصة مثلاً يمكن اصداء الرادار أن تعلن لموظف الرادار المدى على بُعد قريب حتى على بعد بضعة عشر متراً .

في حالة الدفاع ضد الطائرات تتوجه أطراف أسلاك الإرسال والاستقبال من تلقاء نفسها بحيث أنها تظل متجهة إلى الهدف الطائر من غير تدخل العامل سوى التوجيه الأول والمدافع تنبه من تلقاء نفسها أيضاً إلى الهدف . وذلك بحركة أولية تؤتي في الجهاز . ومتى تحركت الأجهزة فيه اشتغلت من تلقاء نفسها . وأغرب من ذلك أن توجه الطائرة المقاتلة من مكان بعيد من غير راكب فيها يديرها وإنها تدار باللاسلكي من مكان الإدارة على الأرض .

وهناك أنواع من الرادار حديثة ذات خصائص عجيبة . فمنها رادار يميز بين صدى وصدى أو بين هدف وهدف . وأصداء كل هدف دون آخر . ومدى كل منها ، وهو أمر يتوقف على حدة أشعة الرادار الصادرة منه . وهذه تتوقف على ضخامة سلك الإرسال أو الاستقبال وحجمه ، لأن الشعاع تكون أحد وأهد كلما قصرت موجة الإرسال . ولأن اتساع الشعاع يناسب طول الموجة . .

الرادارات القديمة كانت تشغل على الموجات الطويلة عدة أمتار فكانت تتسع الأشعة بنسبتها . أما رادار اليوم فكالراديو الحديث يتقدم رويداً في استعمال أقصر ما يمكن من الموجات القصيرة وكلما تقدم هذا أمكنه أن يسجل الأهداف على بُعد بضعة أمتار إذا لزم الأمر حتى على بُعد متر ونصف . وكلما نجح في هذا السبيل نجح في تسجيل التفصيل أو توريثها .

حتى م يشطح هذا الإنسان في العلم والاختراع ويتراجع في الآداب ومقتضيات الاجتماع ؟

نقود الحرار



## النار

قال إبليس حين أمره الله بالسجود لآدم . « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، قال فاخرج منها فانك رجيم .. »  
وقال موسى لاهله حين آتس من جانب الطور ناراً . « امكثوا إني آتيت ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجِد على النار هدى ، فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك .. »

لفتتك بعدُ ، وإنها بين الورى شيء لقوت  
تحيا على الظم الشديد ، وحينما تسقى تموت  
ولسانها يمتد لكن لا يفارقه السكوت  
ترك الكلام ، وليس يترك فرصة أبداً لقوت  
ولطالما خاب القوؤ ل ، ونال بغيته الصموت  
يا نار أضللت « الرجيم » فناد عن نهج القنوت  
وهديت يا نار « الكليم » فنال قوتاً أي قوت  
يا نار فيك ببت « أنا » لكن بناء العنكبوت  
وببت « لعلّي » بيدها فعلاً على كل البيوت  
يا نار قد أثرت لكن حسبما اقتضت (البخوت)  
هذا أعد للامحاة ، وذلك هيئ للثبوت

شاعر البراري



## الادب الرخيص

حضرة رئيس تحرير المقتطف :

أرجو أن تأذنوا لي بكلمة تلحقونها بمقال الأستاذ : م بعنوان « صحافتنا تنحدر » .  
وهو مقال يشفي الغليل فيما بلغت إليه أكثر المجلات العربية من إفراز الزبد الطافي على وجه العلم والادب .

لقد أنحى هذا الكاتب المتألم باللائمة على الكتاب لأنهم طلقوا العلم والادب الحقيقي وارتعوا في أحضان الصحافة التي تتاجر بلمو بسطاء القراء . لعل هؤلاء الكتاب معذورون إذا كان القلم سبب عيشهم ، ولا يرزقون إلا من شق القصب . لأن أصحاب المجلات يرفضون منهم البحوث العلمية والأدبية الراقية . ولا يقبلون منهم إلا الفث الفكه بمحجة أن سواد القراء لا يفهمون البحوث العلمية .

\*\*\*

قدم أحد المتقنين ثقافة « طامية » مقالاً تقيساً في موضوع علمي يمت إلى إحدى النظريات العلمية الحديثة التي يود العالم والبسيط أن يعلمها أو يعلم شيئاً عنها . فرفضه عبقرى الصحافة بدعوى أن القراء لا يفهمون هذه البحوث ولا يستلذونها . وإنه لا ينشر في مجلته إلا ما يروق لعامة القراء وهم السواد الأعظم .

عجباً من هم القراء غير خريجي الكليات والجامعات والأزهر ، ثم طلبة هذه الجامعات والكليات ، أليسوا هم السواد الأعظم من القراء ؟ بل هم القراء كلهم ، وما هم بالقليلين . بل هم الذين يمولون هذه الصحف والمجلات .

فقال صاحب المقال لصاحب المجلة : ألا تظن أن يقرأئك عشرة في كل مئة يفهمون هذا المقال ويستمرئون هذا الموضوع ؟ . نخصص في مجلتك عشر صفحاتها لهؤلاء .

فقال : إن هؤلاء الذين تعنيهم لا يقرأون مجلات عربية ، بل يقتصرون على قراءة المجلات الأجنبية فأمرهم لا يهمني .

— طبعاً لا يقرأون مجلات عربية لأنهم لا يجدون إلا في النادر منها الغذاء العلمي



لعقولهم . قدموا لهم كل ما يستجد من البحوث العلمية الحديثة تجدهم يقبلون على مجلاتكم ويجنحون عن المجالات الأجنبية .

أقول بكل أسف أن تجار الصحافة لا يرمون بصحافتهم إلى بنيان الثقافة في الأمم العربية بتاتاً ، ولا يبتغون إلا تفسكه بسطاء القراء لكي يبرزوا أقصى ما يستطيعون من المال . ولكنهم مخطئون بهذا الظن ، لأنهم إذا أضافوا إلى جانب الفسكاهة الصحفية جانب الفائدة العلمية والأدب الراقى ، أضافوا إلى قرائهم قراء آخرين يزيدون مكاسبهم .

ولا بدع فإن معظم تجار الصحافة لا يعرفون إلا أن الأدب العام المزخرف هو الثقافة العلمية الراقية عندهم . وقد جهلوا أن المدنية الأمم ليست نتيجة هذا الأدب الطائش ، بل هي ثمرة العلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى الفلسفية . فالقنبلة الذرية لم تكن ثمرة شعر شكسبير ، أو نفع فلو ، ولا أدب مارك توين ، وأناطول فرانس وغيرهم . هي ثمرة علم رودر فوردر ، واينشتاين ، وبلانك ، ومكسويل ، وشادويك ، ولورانس ، وبوانكاريه ( العالم ) وأمثالهم .

فكيف توقع أن تكون لنا مدنية عربية جديدة إذا استرسلنا في الفسكاهات والتقصير والأدب العربي القديم ، الذي نلوكه ظافين اننا نحصه ونهذبه ، فلا نلبث أن نرانا قد تقيأناه فاسداً نتناً .

نحن الآن في عصر العلم الناصح ولا نستطيع أن نجاري الأمم المعاصرة إلا إذا شاركناها في الثقافة العلمية . والاّ فاذا اقتصرنا على الأدب السخيف الفكاهة الذي لا غذاء منه للعقل العلمي فكأننا نقتصر إلى عصور الجهالة والخرافات .

ويا ليتنا نعود بهذه القهقري إلى عصر العرب العلمي القديم ، فكأننا نعود إلى أسس العلم الحديث . فقد عرف العرب أن أساس المدنية هو العلم ، فطرقوا كل باب علمي على قدر ما بلغ اليه العلم في زمانهم ، فأخذ الأفرنج عنهم كأساس وبنوا عليه . ولكن بكل أسف لم نعد إلى الأدب العربي القديم إلا لتفكه في أمثال ألف ليلة وليلة والسندباد .

إن هذا التقصير في خدمة الثقافة العامة التي نبني عليها مدينتنا هو تقصير صحافتنا أولاً وجهالة تجارها ، ولا ذنب فيه لاهوائنا وأدبائنا وبخائنا . فهو لاء منبوذون من الميدان . والميدان لم يَبْسَح إلا لسقط المتاع . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

( . . . . )

سيداتي  
الذي أ  
الإيمان ، و  
رسالة لا بد  
كثيرون ،  
ونعمة قازان  
التجديد في  
تنتج كثير  
- في الغالب  
صوت الرجوع  
فل العمل الخ  
أصول دعوتهم  
الذي سرعان  
وغذاء للقلب  
المهجري أن  
ولولاها لظل  
ونجمة الرأى  
فيها جهود ،  
على أن تنتج  
نتجته في الأد  
أقول »



## احمل قلمك واتبعني !

سيداتي وسادتي !

الذي أقوله الآن لستُ أول من نادى به ، ولكنني واحد ممن يؤمنون به أشد الإيمان ، وممن يتحمسون له بكل قوة ، وبكل إخلاص ، لأنهم يرون في الدعوة إليه رسالة لا بد من تأديتها . ولقد سبقني إلى هذه الدعوة ، وإلى حمل هذه الرسالة الأدبية كثيرون ، وعلى رأسهم جبران خليل جبران ، ونعيمة — في « غرباله » بنوع خاص — ونعمة قازان في « معلقة الأرز » ، ومحمود شريف في « ثورة قازان » وسبقني إليه جماعة التجديد في مصر ، غير أن دعوة المصريين إلى التجديد لم تنتج كثيراً ، وليس من السهل أن تنتج كثيراً ، لأسباب من البيئة ، ومن الظروف التي تخلق تلك الدعوة . لذلك ظلت — في الغالب — في حدود المهاترات الكلامية — والقليل منها يعمل صامتاً — ، وظل صوت الجمعية المحافظة أقوى وأعلى من صوت التجديد والانطلاق والإبداع . وتبعاً لذلك فلَّ العمل الحقيقي من جانب دعاة التجديد ، ذلك العمل الذي هو وحده يستطيع أن يثبت أصول دعوتهم ويقيم صروحها شامخة زاهرة ، بينما انصرف أدباء المهجر إلى العمل المجدي ، الذي سرعان ما قلب الأوضاع الأدبية ، وفتح العيون على كل جديد حي ، فيه متعة للروح وغذاء للقلب ، وممّو بالنفس إلى ما فوق مستوى الطين . وهكذا قدر للثورة الأدبية المهرية أن تكون أوسع الخطوات أثراً في تقدّم الأدب العربي الحديث ، وفي سعة آفاقه . ولولاها لظلّ أقصى ما يمكننا إنتاجه في حقل الأدب ، لا يخرج عن أمثال « مجمع البحرين » و « نجمة الرائد » و « حديث عيسى بن هشام » ، وما إلى هذه السفاسف المتهرئة التي ضاعت فيها جهود ، وفنيت أعمار ، وهُدرت مواهب ما كان أخصبها وأغناها ، وما كان أقدرها على أن تنتج إنتاجاً كثيراً قيماً لو عرفت الطريق . ويا خيبة لو كان هذا كل ما يمكننا أن نتجّه في الأدب !

أقول « الأدب » وأنا أرى هناك اختلافاً كبيراً في تحديد معنى « الأدب » وفي فهم

(١) محاضرة أدبية علمية

جزء ٣٠

(٢٣)

مجلة ١١٠



أهدافه وغاياته . فالأدب ، كما لا يزال السواد الأعظم — للأسف الشديد — يفهمه ويجري عليه ، هو رصف الألفاظ والجُمَل : هو اللغة ، أو اللغة هي أهم ما فيه ، وهي آله وبؤه وهي جوهره وغايته .

ألا ترون أننا لا نزال حتى اليوم ، حينما نريد أن ندرس الخصائص الأدبية لعصر من العصور ، أو لجيل من الأجيال الأدبية ، أو لأديب معين من الأدباء ، إنما نقف قسماً كبيراً من الدرس على بيان المزايا « اللغوية » لذلك العصر ، أو لذلك الجيل من الأدباء ، أو لذلك الأديب الذي ندرسه ؟

أو ما ترون أننا حين نريد أن نتحدث عن الفرزدق مثلاً لا نجد أبلغ في الدلالة على علو كعبه في الأدب من أن نقول : « لولا شعر الفرزدق ، لذهب ثلث اللغة العربية » ؟ وحين ندرس أدب المتنبي أو المعري أو غيرها نقول إنها كانا بصيرين بدقائق اللغة ، عارفين بأحوالها وأوضاعها ؟ . وحين ندرس عصرًا من العصور الأدبية ، نذكر مدى ما أصاب « اللغة » فيه من رقي وانحطاط ، وما دخل عليها من ألفاظ أعجمية ، وما تعرب ، وما اشتهق ، وما نُسجت من ألفاظ ، وما دخل من تزاويق لغوية ندعوها بيانًا ، أو بديعًا ، أو بلاغة : جناسًا ، أو استعارًا ، أو كناية ، أو تورية ، أو ما إليها من سماجات لا نزال نحشو بها عقول القراء ، كأنها العلم كله ، والأدب كله ؟

وفي المدارس أيها السيدات والسادة في المدارس ، أما ترون أننا لا نزال إلى اليوم ، رغم ما نزع من أنفسنا من انفساح آفاقنا ، وسعة اطلاعنا ، وغزارة علومنا ومداركنا ، لا نزال نفرض على الطلاب فرضاً أن يكون أول ما يدرسونه في « تاريخ الأدب » إرؤ القيس وإخوانه ، ثم حضنتهم الصحراء قبل نحو خمسة عشر قرناً ، بألفاظهم الخشنة ، وتعايرهم الصحراوية ، وخشونتهم البدوية ، وبكل ما لديهم من ميزات تباعد بين عصرهم وعصرنا ، بين أذواقهم وأذواقنا ، بين فهمهم للأدب وفهمنا ، وبين حياتهم وحياتنا . ثم نفرض عليهم أن يسيروا في هذه الدراسة العقيمة المملّة قُدماً ، وعلى هذا النسق العقيم المملّ ، الذي لم يخرج عليه واحد ممن أَرخوا الأدب العربي للمدارس في العصر الحديث ، حتى إذا وصلنا إلى عصر جبران ، ونعيمة ، وأبي ماضي ، والريحاني وفوزي المعلوف ، وشوقي ، وحافظ ، ومطران ، وطه حسين ، وإشاره الخوري ، وأبي القاسم الشابي ، وأبي ريشة ، قلنا لهم — لهؤلاء الطلاب المساكين ، الذين يريدون أن يعرفوا شيئاً يناسب عصرهم ، فيعطون أشياء تبعدهم عن عصرهم خمسة عشر قرناً ، أو تزيد أو تنقص — قلنا لهم قفوا أيها الطلاب ، ولا توغلوا بعيداً فالأدب كله عند امرئ القيس وطرفة وابن حازمة ، وعند

الخطبة وجر  
الطراز القديم  
البارودي و  
ودونكم و  
وفي أقدم ع  
عمر التاريخ  
رؤوس أقلا  
فكان القوام  
والآداب —  
أن تفاخر في  
إن الطالب  
الأدب ، وما  
منها « مشه  
وهكذا ننشئ  
والسبب في  
تاريخ الأدب  
تقدمه من  
وغرسنا في  
وصلنا إلى  
إن العلم  
نما نسميه «  
هل فيه شيء  
لو كان  
الأكبر من  
العروض —  
الأدب العربي  
نقريها على  
الشهادات التي



الخطيئة وجريير والفرزدق ، وعند بشّار وأبي نواس وصريع الغواني ، وأضراب هذا الطراز القديم . وإذا خطر لنا أن نقدّم لهم شيئاً من أدب العصر الحاضر ، قلنا لهم : دونكم البارودي وحفني ناصف ، والرافعي ، ودونكم المنفلوطي والشدياق واليازجيين والبستانيين ، ودونكم ودونكم من إخوان هذا الطراز العتيق الذين عاشوا في عصرنا الحديث بأجسامهم ، وفي أقدم عصور التاريخ بعقولهم ، وليست ثمة ميزة تميز آدابهم عن آداب من سبقوهم في عمر التاريخ ، فهم وإياهم كتاب ألفاظ ... ألفاظ جافة تسربت منها الحياة قبل أن تصل إلى رؤوس أفلانهم ... ألفاظ وتزيينات ألفاظ ، غايتهما أن تحفظ للعربية قواميسها إلى الأبد فكان القواميس — أو على الأصحّ ، النواويس العفنة ، نواويس العقول ، ومقابر العلوم والآداب — كأن هذه هي العلم كله . وهي الآداب كله ، ثم يزعم بعد ذلك ، ولا نستحي أن نقاخر في القرن العشرين ، بأننا نلقن أبناءنا علماً وأدباً . وصدقوني ، سيداتي وسادتي إن الطالب لا يكاد يصل من دراسته للأدب العربي إلى عصر النهضة ، حتى يكون قد ملّ الأدب ، وعاف درس الأدب ، واشتأز كل الإشتأز من هذه السجاجات التي اردنا أن نجعل منها « مشهيات » تحبّب إليه الأدب ، فإذا بها « منقّرات » منه ، مرغبات عنه . وهكذا ننشئ من الطالب عدواً للغته ، ولآداب لغته ، من حيث أردنا أن نحبّبها إليه . والسبب في ذلك سوء إدراكنا لما يجب أن نقدّمه إليه أولاً . ولو نحن مرنا في كتابة تاريخ الأدب العربي ابتداءً من عصرنا الحاضر ، راجعين إلى الخلف ، وأحسنّا اختيار ما نقدّمه من أدب العصر الحاضر ، لعرفنا كيف ننمي في الطالب حبّ لغته ، وحبّ آدابها وغرسنا في نفسه شوقاً إلى الاستزادة من ينابيعها القديمة والحديثة على السواء . ومضى وصلنا إلى هذه النتيجة ، نكون قد نجحنا أعظم نجاح في تأدية رسالة الأدب والتربية معاً . إن العلم والأدب غايتهما خدمة الحياة ، وخدمة المجتمع . فهل في ما تدرّسه مدارسنا بما نسميه « تاريخ الأدب العربي » و « علوم العربية » شيء من هذا ؟ هل فيه شيء ؟ ... ! هل فيه شيء ؟ ... !

لو كان إليّ أمر الدروس العربية في كافة المدارس ، لما تردّدت لحظة في حرق القسم الأكبر من الكتب التي ندرسها فيها ، ولما أبقيت على شيء مما نسميه « علوم العربية » : العروض — جريمة الفراهيدي على الشعر — ، البيان ، البلاغة ، القواعد ، وأخيراً تاريخ الأدب العربي في حالته الحاضرة ، لأنه ليس في كل هذه ما يصلح للحياة ، ونحن بعد نقرضها على طلابنا المساكين فرضاً ، ولا نكتفي بذلك ، بل نمنح المتفوقين فيها الشهادات : الشهادات التي معناها أنهم تعلموا شيئاً ينفعهم للحياة ، ويفتح عيونهم على حقائق الحياة ،



ويوسع نفوسهم وقلوبهم لممارسة الحياة ، ولا إصلاح المعوج من أمورها ، ويفسخ مداركهم ومعارفهم وآفاقهم . ثم نحن نمنع هذه الشهادات نفسها ممن يعجزون عن التفوق في هذه الحماقات التي ندعوها علوماً وآداباً ، وكأننا بهذا نسجل على هؤلاء المساكين أنهم غير مزودين بسلاح جهاد الحياة ، وبمعنى آخر نسجل عليهم أنهم قصّروا في فهم البيان والبديع ، وفي حفظ شعر امرئ القيس والأعشى ، ومعرفة حياتهما وميزاتها ، وقصّروا في حفظ العروض ، بزخارفها وعللها ، ولم يحفظوا وصايا الخليل ، وصيبيه ، والدولي والآخرين التي تعلمهم أن « دعا » أصلها « دعو » ، وأن « ميزان » أصلها « ميوزان » ثم درجت عليهما قواعد الإعلال . . . القواعد التي زيدها أن تظلّ على سرمدية خالدة في جسم اللغة العربية وآدابها .

أرايتم أي سلاح خسر أولئك الطلاب المساكين الذين لم يعرفوا ذلك كله ؟ ! إن صادتنا القوامين على شؤون اللغة والأدب ، يقولون إن هذا هو سلاح الحياة ومفتاحها ، وإنه عمادها وقوامها . أما نحن . . . أما نحن ، أيها السيدات والسادة فنقول : إن هذا عبث وصغف . . . فعلموا طلابنا علوم الحياة ، لا علوم اللغة القديمة ، وآركوا هذا الذي هم الآن يجربون على درسه للذين يهمهم التخصص ، والبحث عن القديم ؟ وبكلمة أخرى لمن يريدون أن تكون عقولهم « متاحف » ودور آثار . . . على أن لا يكون ذلك قبل انتهاء الدراسة الثانوية كاملة . . .

اطرحوا من الكتب المدرسية ، من القواعد : ما كان مملاً متشعباً ، متناقضاً ، كثير الوجوه والجوانب ، واطرحوا سائر السفسطات اللفظية التي تتألف منها علوم البلاغة والعروض . اطرخوا هذه كلها جانباً ، وعلّموا الطلاب بدلاً منها أشياء تفيدهم في الحياة . وأما الأدب العربي — ولا يحصى لنا عن تدريس الأدب ، لأنه غذاء القلب والروح — فلنعلّمهم منه آداب العصر الحاضر ، أو الحليّ وحده من أدب العصر الحاضر . ولنترك القديم البالي ، لأصحاب القديم البالي ، وإذ ذاك فامنحوا الطلاب المتفوقين الشهادات ، وامنعوها عن المقصرين ، لأن المنح والمنع حينئذ يكونان عن فهم ، وعن حق ، وعن ضمير مخلص أمين .

\*\*\*

هذا شيء — أيها السيدات والسادة ! — ، وشيء آخر لا يقلُّ عن هذا تأخراً وعمقاً وزرارة ، وهو في غير المدرسة . . . حينئذ نريد أن نعمل على نهضة « الأدب » أتدرون ماذا نعمل ؟ . . . أتدرون ماذا ؟ !

إننا ننشأ  
اللغة الصفر  
العقول الصفر  
وعقول النشأ  
ثم . . . ثم  
علينا ؟  
— والعياذ  
والجوهر  
ويكفي أن  
على الدنيا  
أجيبوا  
كما يقول  
نعيش أعمال  
لقد قال  
لقد أدوا في  
غقيمة ككتة  
فماذا لا نؤ  
لا كما كانوا  
هم في أن  
بل أسلوبهم  
مبتدعين في  
الأدب في الخ  
أما السا  
يعيشون في  
رم الموتى  
الذي لا يفهم  
نوم يسكنوا



إننا ننشئ المجامع اللغوية . . . ، نعم المجامع اللغوية ، ونكس فيها المعاجم ، وكتب اللغة الصفر من عهد سيديويه ، حتى عهد ابراهيم اليازجي ، ونحبس معها الرجال — ذوي العقول الصفر ، أسوة بالكتب الصفر — ليعيشوا في أزمانها ، ويغذوا عقولهم ، وعقول الناس — ويألفوا من تغذية قاتلة ! — بما يطاردون في بطونها من لغوي وهراء ، ثم . . . ثم يطلعون علينا بعد سهر الليالي ، وطول السكد والعناء . . . أتدرون بماذا يطلعون علينا ؟ . . . إن أقصى ما تصل إليه آداب هؤلاء « المجمعين المعجميين » هو أن يربطونا — والعياذ بالله — بأذنان الكسائي ، والأخفش ، والدؤلي ، وسيديويه والفيروز آبادي ، والجوهري ، وابن منظور ، والأصمعي ، والزنجشري ، يربطونا بأذنانهم الى أبد الأبدن ويكفي ان يقولوا لنا : « قال فلان » من هذه الشريعة البائدة ، ليحسبوا أنهم قد طلوعوا على الدنيا مجديدا . جديد يلخص كل أغراض الحياة في كلمة . . .

أجيبوني ، أيها الناس ! : إذا قال الأصمعي أو الجوهري ، قالت الحياة ؟ !

أقاس النحاة حدود الزمان ومرى خيالي وعقليتي ؟

كما يقول نعمة قازان . وهل ماتت حقائق الحياة ، وعبرها ، وحاجاتها كلها معهم ، حتى نعيش أعمارنا على نبش قبورهم لنأخذها عنهم ؟ !

لقد قال أولئك القوم لازمتهم ولاجياهم ، فلماذا لا نقول نحن لازمتنا ولاجيانا ؟ لقد أدوا في زمانهم ما كانت عقولهم ، التي هي بالنسبة الى زماننا الحاضر قاحلة كالصحراء غقيمة ككتبتهم الصفر ، تحسبه رسالة الأدب — وما أبدعهم عن فهم رسالة الأدب — فلماذا لا تؤدي نحن بدورنا في زماننا ما نعرف أنه رسالة الأدب في الحياة ؟ ولكن لا كما كانوا يفهمونها ، بل كما يفهمها عصرنا . وعتان ما بين فهمهم وفهم عصرنا !

هم في أزمانهم كانوا يحسبون أنفسهم مبتدعين في أساليبهم الأدبية — استغفر الله ! بل أسلوبهم الواحد الاحد السرمدى ، الذي لم يتغير ولم يتطور ! — فلماذا لا نكون نحن مبتدعين في أساليبنا الأدبية . نهج لأنفسنا في الأدب والحياة أساليب تؤدي بها رسالة الأدب في الحياة ؟

أما السادة « المجمعين المعجميون » ، فما أجدرهم بأن يفرض عليهم نظام « الفيتو » يعيشون في نطاقه مدى الحياة ، لئلا يتصلوا بالناس ، فيفسدوا عليهم الحياة بما ينبشون من ردم الموتى : الرمم العفنة البوالي ، ولتبقى لهم وحدهم هذه النبش المتواصل المضني ، الذي لا يفيدهم ، ولا يفيد الأدب ، ولا يفيد الناس ، ولا يفيد الحياة في شيء مطلقاً . فهم قوم يمسكون بأيديهم حبلاً من حديد ، يحاولون بكل قواهم أن يغدوا بها كل من يحاول



أن يطلق جناحيه مع الهواء الخمر : هواء الحضارة العصرية ، والحياة العصرية ، التي لا تنبع  
أبداً لتقليب المعاجم الكبار الضخام ، في سبيل البحث عن أصل كلمة واحدة ، ومشتقاتها  
ومرادفاتها ، وسخافاتهما ، يشدونه بها إلى أعرق عصور التاريخ في القدم ، ويقولون له : من  
هنا استمد وحيك وإلهامك ! لا تقل أدباً ، ولا تحاول أن تأتي بفكر جديد ، أو معنى  
جديد ، بل خذ ألقاً قديمة ، مما اعترف بصحته الزخشمي والأصمعي والكسائي ، وما  
ورد في شعر الجاهليين ، والمخضرمين ، والأمويين ، والعباسيين . . . وهكذا نعيش معهم  
جامدين متأخرين ، إلى أبد الآبدين !

ولم ذلك ؟ ! انها قصة الكأس والشراب . . فكما انه لا يصح أن تتناول الشراب في  
كأس وسخة أو مهشمة ، كذلك لا يصح أن تكتب الأدب بلغة غير جميلة .  
آمننا وصدقنا أيها السادة ! ولكن هل حقاً أن الكأس لا تكون جميلة ، إلا إذا  
أخرجت من قبر امرئ القيس ، أو من قبر الأصمعي ؟ ! ألا تصلح كأس مصنوعة من  
« النايلون » مثلاً للشراب ، أكثر مما تصلح له كأس من الفخار ؟ وهل يضير الشراب أن  
يوضع في قدح من « النايلون » لأن الكسائي والفراء وسيبويه لم يعرفوا « النايلون » ؟  
سيداتي وصادقي !

إن طول اعتمادنا على الكتب الصفر ، وطول عبادتنا للموتى ، قد صبغ عقولنا بمثل  
صفرة تلك الكتب : الصفرة المتهرئة ؟ وختمنا على آدابنا بمثل موت أصحاب تلك الكتب  
الصفر . وهكذا لا نزال مرضى في عقولنا ، موتى - أو على الأقل جامدين جمود الموتى -  
في آدابنا . فإذا عاد سيد منّا من حاصمة بلاد الانكليز على متن « طيارة » ، استقبلناه  
بشعر أقدم من عصر امرئ القيس ، نستنهأه بقولنا :

« أنحج الركاب فقد أطلت غياها . . . »

أي والله ! « أنحج الركاب » لرجل يمتطي الطائرة في الجو . . .

وإذا تغزلنا ، لم نجد اللفظ « من المهابة » نتغزل بعينها ، فنقول :

« المها أهدت إليها المقلتين . . . »

وذلك لأن البدوي الذي ماش في الصحراء ، رفيقاً لها ، قد سبقنا إلى هذا الوصف  
فهو إذن تعبير جميل . أما أن نعرف نحن ما هي المها . أو لا نعرفها ، فليس بأمر ذي قيمة !  
وإذا أردنا أن نرثي ، لم نجد إلا أصاليب القدماء الشديدة المغالاة في كذبها ، وبُعدها  
عن الإصالة ، وعن تصوير اللوعة الصادقة ، فنقول :

« لو كان في الذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رُثيت في القرآن ! »



وكذلك إذا أردنا أن نمدح ، أو نهجو ، أو نبيكي ، أو نصف ، لم نجد إلا المعاني القديمة ، والأساليب القديمة ، نمدح ، ونهجو ، ونبيكي ، ونصف بها . . . . .  
 جود . . . . . جود قاتل . . . . . ونحن مع ذلك نسير عليه ، ولا نشعر ، أو لا نريد أن نشعر به . . . . . ولم ذلك ؟ . . . . . أليست لغتنا هي أم اللغات ؟  
 أو على الأصح هكذا دعوناها ؟ . . . أم اللغات غداة الفخر أمهما . . . . .  
 كما يقول حافظ إبراهيم . . . ألم يكتب بها القرآن ؟ .. إنها إذا لغة الله ، ولغة الملائكة . . . . . ولغة آدم وحواء في الفردوس ، فكيف لا نرضى بها اليوم ؟ !  
 قولوا ما شئتم ، أيها الناس ! وليتمحل من شاء لتأخره وجوده الأعذار والعلل ، فقد اعتدنا دائماً — حينما نشعر بفشلنا وجودنا — أن نحاول جذب الله — أو أقرب الأشياء إلى الله في رأينا — إلى صفوفنا ، لنسجل عليه الجود ، تبريراً لوجودنا ! ومن ذا الذي يجرؤ على التمرد على الله ، أو على أقرب الأشياء إلى الله ؟ ! إنه إذن لكافر ! كافر ! فارجموه ! . . . . . وهكذا نكسب تأييد الدهماء لنا ، وذلك حسبنا من النصر !  
 أما نحن فإننا نهتف بملء أصواتنا مع الشاعر المهجري نعمة قاذان ، في « معلقة الأرز » :

إذا كان أمسي ويومي ، غدي فيارب إضرب على مقلتي !  
 نعم ، ليضرب الله على مقلتنا إن كان أمسنا سيكون هو نفسه يومنا ، وغدنا أيضاً ، بغير تبديل أو تجديد ، فلن نرضى أن تبقى الألفاظ والأساليب اللغوية اللفظية القديمة — التي كانت زام أمسنا ، ولا تزال عتاد يومنا — هي نفسها زاد غدنا ، وعتاده ، لأننا لا نرضى أن نسجل على أنفسنا مثل هذا الجود العقيم . فالأدب عندنا ليس بالألفاظ ، وإنما هو بما خاف الألفاظ من معانٍ وفكر :

فما الشعر بالكأس برّاقة ولكنه الشعر في الحيرة  
 كذا فتنة العين بالمرأة هي الشعر بالعين لا المرأة  
 إذا ما الحبيب تكلم غمراً فأين الكلام من الغمزة ؟ !

كما يقول قازان ! . . . وأين كذلك الألفاظ والأساليب القديمة من الأدب الحي ، الذي يجب أن ننصرف إلى إنتاجه : أدب العقل والقلب والروح ، الأدب الذي هو إنجيل الحياة وقرآنها ، وتوراتها ، والذي يمكنه أن يخلق العالم من جديد ، حين يخلق في العالم نفوساً تحب الخير والجمال ، وتهدف إلى سعادة الحياة ، ولا تعوقه عن حب الخير والجمال والسعادة لحظة جامدة :



لئن طاق دربي الى الله لفظاً  
هزوت جوادي يسير الخشب (١)  
وجوزت في الصرف ما لا يجوز  
وأوجبت في النحو ما لا يجب  
إذا قام شمرٌ بألفاظه  
تكون القواميس خير الكتب

واللغة التي تقف جامدة دون كل تطور، إنما هي ميتة، لا تصلح للحياة، ما دامت  
لا تستطيع مجاراة الحياة السائرة دائماً الى الأمام في تطورها المستمر الذي لا يكل ولا  
يتوقف مادام دولا ب الزمان في دوران، والليل والنهار في تعاقب، وما دامت الشمس  
تغيب كل يوم في المساء، لتطلع على الناس في الصباح :

فلا تطلع الفجر يوماً عليّ إذا لم يلدني مع الطلعة (٢)

أما القرآن فيما افداحة خطائنا، وبالعباوتنا يوم نحسب أنه يقف عقبه كؤوداً في  
سبيل التطور الأدبي ! فلقد كتّيب القرآن باللغة التي كان يتكلمها الناس ويفهمونها حين  
نزوله . وما كان يمكن مطلقاً أن ينزل في غيرها . ولو أنه نزل في أيامنا هذه ، لما رأينا فيه  
لغة قريش القديمة ، بل لكُتِبَتْ بلغة العصر الحاضر ، التي نستطيع أن نفهمها بيسر وسهولة .  
فلقد كان القرآن أحرص مما نتصوره نحن ، على مراعاة خصائص العصر ، وعلى تأدية رسالة  
الحياة بأحسن الأساليب الممكنة في أيامه . ونزول القرآن بألفاظه المعروفة لا يعني أن تجمد  
اللغة عند تلك الألفاظ الى الأبد ، فلم تكن هذه غايته ، ولن تكون ، فليس للقرآن لغة ،  
ولكنه جوهر ، ولو كان لغة وألفاظاً فحسب ، لما استطاع أن يكون دستوراً للحياة ،  
صالحاً لكل جيل ، فاللغة تتطور وتتبدل مع الزمن — ككل شيء آخر — وأما الجوهر  
فهو الذي يكن فيه سرّ الخلود .

تري ماذا كنّا نكون اليوم ، وأي تاريخ كان يمكن أن يكون لنا ، لو لم يقم الإسلام  
والقرآن بالثورة الساحقة الماحقة على جمود الصحراء وخمولها ، على عصبيتها القبلية ومنازلاتها  
على أديانها وأصنامها ، وعلى تقاليدها وعاداتها ؟

ماذا كنّا نكون اليوم ، وأي تاريخ كان يمكن أن يكون لنا ، لو لم يقم الإسلام  
والقرآن بفتح أعين القبائل العربية ، الغارقة في جفاف الصحراء بتقاليد الهمجية العمياء ،  
على حاجات العصر ، وعلى طريق الله والمجد ، وعلى طريق التاريخ الداوي ؟

لقد كان الإسلام والقرآن نفسهما ثورة على الجمود والرجعية ، وتجديداً في الدين ، وفي  
التشريع ، وفي الحياة . فما بال الكثيرين من الجامدين الرجعيين يحاولون أن يسجلوا عليهما  
الجمود والرجعية وهما من الجمود والرجعية أبرأ وأتقى من ضمير يوسف من تهمة امرأة العزيز ؟



صدقوني ، سيداتي وسادتي ! إننا لو استطعنا أن ننور على الأدب اللفظي القديم البالي كما نثار القرآن على الحياة الجاهلية ، وأن نسبدع في الجديد الحي منه ما أبدع القرآن في حياة الصحراء ، حين خلق من شتيت سكانها أمة أخضعت الدنيا لسلطانها ، لاستطعنا أن نتتبع في الأدب الحي أروع ما تنتجته الأمم .

إذن فنورتنا اليوم على الأساليب القديمة والأدب القديم واللغة القديمة ، لا تعني النورة على القرآن ، ولا يمكن أن تعنيها ، فليس من المعقول مطلقاً أن يطالب إنسان بتغيير لغة كتاب ما — بله القرآن نفسه — بحجة أن الزمان قد تطور ، وتطورت معه اللغة لذلك سيبقى القرآن هو القرآن : له قدسيته ومكانته ورسالته ، وله لغته التي لن تستطيع أن تمتد إليها يد بحذف أو تبديل . أما اللغة نفسها — اللغة التي نفهم بها — فقد آن الأوان لأن نخرج فيها عن سنن الصحراء ، وقواعدها ، وتعبيرها ، وألفاظها ، وأصايلها ، وإذا كنا نريد أن نؤدي رسالة الأدب إلى الحياة والأحياء .. فالذي يجب أن نفهمه الآن هو أن الأدب رسالة ، وقيادة ونور .

هو رسالة : لأن الأديب هو نبي الحياة ورسولها ، والروح الذي يفهمها حق فهمها — أو هو يجب أن يفهمها حق فهمها — ويعرف كيف يهديها ويفرش طرقها بالورود أمام أبناء الأحياء ، ليعرفوا فيها الجمال والخير وسعادة القلب والروح . وهو قيادة : لأن الأديب — ابن الحياة البار ، ورسولها الأكبر — هو الذي يعرف كيف يسير بأبنائها في طرقها العديدة الملتوية الوعرة ، ليصل بهم إلى الجمال والخير ، وسعادة القلب والروح .

وهو نور : لأن الأديب هو المشعل الذي يستطيع أن ينير سبيل الحياة أمام السالكين لكي يهتدوا فيها إلى الجمال والخير ، وسعادة القلب والروح . فالجمال والخير والسعادة ، إذاً هي غاية الحياة ، ولكنها جميعاً كامنة في مكان واحد ... مكان صغير جداً ! أتعرفون ما هو ؟

إنه قلم الأديب ! ففيه وحده — في رأسه الصغير الدقيق — يكن الجمال ، ويكون الخير وتكن سعادة الحياة . ومنه يفيض النور الذي يقشع الظلام عن وجه الحياة ، ومنه يتسلسل الخير ، ويتسلسل الجمال ، ويتسلسل السعادة ، إذا عرف كيف ينفث نور رسالته المقدسة على وجه صحيح .

هكذا نفهم الأدب ، أو هكذا يجب أن نفهمه اليوم . أمّا اللغة التي لا يزال الاكثرون يحسبونها الشرط الأساسي للجودة والقوة في الأدب ، فإننا نرى أن بينها وبين الأدب فرقاً



بعيداً جداً، فالأدب هو رسالة الحياة : الحياة الشاملة المتطورة، أما اللغة : الألفاظ الجوامد، فإنما هي مجرد وسيلة تنقل هذه الرسالة . وكل رسالة هي في حاجة الى « ناقل » مناسبة للوصول الى كل فهم ، والى كل ذوق ، يغلب عليها البساطة واللفظ والجمال ، لا النقل والبلاغة والتعقيد ، ولو كانت « الإشارة » — نعم الإشارة — كافية لتأدية هذه الرسالة ، لكانت هذه الإشارة أدباً في الصميم . ولو كان يمكن تسجيل الفكرة الأدبية ، أو المعنى الأدبي ، أو لو كان يمكن تسجيل العواصف والآمال والآلام على الورق بالإشارة ، لكان من الواجب تسجيلها بهذه الإشارة ، إن كان لا يمكن إخضاع اللغة للأدب ، وإعطائها خصائص العصر الذي نعيش فيه ، لتمكين من التعبير عن حاجاته ، ومن تصويره بصدق !

إن اللغة ، التي هي « ناقل » رسالة الحياة يجب أن تكون من البساطة والسهولة والجمال بحيث تصلح لهذه الرسالة المقدسة . ألسنا نرى أن الاواني القديمة التي كان يستخدمها الاقدمون في حاجات عصورهم ، لم تعد تصلح لأن نستعملها نحن اليوم ، حتى لنفس الأغراض التي كانت تستخدم فيها ؟ وإنما كل ما يصلح له اليوم هو أن توضع على رفوف المتاحف ليمتفرج عليها من يشاء من عشاق القديم والتحف الأثرية — ليمتفرج عليها فقط ، لا ليستعملها مع أن بعضها كان يمكن استعماله لو أردنا . فإذا كنا نفعل ذلك بالآنية التي تستخدم لقضاء حاجات الجسد الفاني ، فكيف يمكن بنا إذاً أن نفعل مثل ذلك تماماً بالآنية التي نستعملها لقضاء حاجات العقل والروح الخالدين ؟

أما كان الأشجر بنا ان تبقى ألفاظنا القديمة ، وأساليبنا القديمة ، ولغتنا القديمة وكثير من أدبنا القديم ، كأشياء أثرية ، لها جلال القدم وروعته ، ولكنها لا تصلح للاستعمال في العصر الحديث ؟ لأن لكل عصر خصائص يتميز بها ، والعصر الذي لا يظهر أثره في آداب أهله ، هل نتوهم فيه شيئاً من دلائل الحياة ، أو نتوهم في أهله ؟

لقد تخيلنا عن ملابس أجدادنا الثقيلة القديمة الخشنة : ملابس الصحراء الجافة الصارمة وارديننا ملابس العصر الحديث ، ولم نعد نرضى عنها بديلاً . وكذلك لا بد لأدبنا من أن تخلع ما لا يلائمها من اللباس الصحراوي القديم ، الذي حشرتها فيه الصحراء الجافة الصارمة قرونًا طويلاً ، لينطلق في موكب الحياة حراً طليقاً يؤدي رسالة الحياة على أكل وجهه فلا نظل — برغم ما يبهر أعيننا من أضواء الحياة الساطعة ، ويرن في آذاننا من أصواتها الصادحة — أقصى عدتنا أن نلتفت ، في انتاجنا الأدبي ، الى الخلف : الى الأدب اللفظي الذي تهرأ وعفن لكثرة ما تراكم عليه من أنقاض القرون وغبارها ، لكي نفترف منه « أوبئة » جديدة نفرسها في جسم أدبنا الحاضر ، ولا نخجل من أن ندعو هذه الأوبئة



أديباً»، أو علاجات لجسم الأدب، أما الحياة التي نعيش فيها، فلا نعرف كيف نعرف منها، وأما حاجات العصر، فلا نعرف كيف نعبّر عنها، وأما عواطفنا وأفكارنا وخلقنا ونفوسنا، فلا نعرف كيف نشرحها ونغنيها، وأما أن الأدب هو رسالة وقيادة ونور، فلا نفهمه، ولا نريد أن نفهمه.

ولئن كنت أقول هذا، فلست أريد أن تفهموا من قولي أنني أطالب بحرق كل ما لدينا من القديم، وأن يكن أكثره أدب لغة وألفاظ، لا أدب معاني وأفكار، فعاذ الله أن أفعل ذلك، ولو علمت أن إنساناً يطالب بمثل هذا، لرأيت في عمله كثيراً من التهور مغالاةً صارخة لا مبرر لها. إنما أنا أدعو إلى الاحتفاظ بهذا القديم كله — من ألفه إلى يائه، بغنائه ومميزاته، عفيفه وداعره، ضعيفه وقويه، جيده وردئه — في متاحف، أو دور كتب خاصة تقوم مقام المتاحف الأثرية، ليتمكن من الرجوع إليه بسهولة كل من يريد التخصص، أو زيادة الاطلاع، على أن يُنتخب شيء من الصالح منه، ليوضع بين أيدي طلاب الجامعات — طلاب الجامعات فقط — كنماذج من آداب القرون الخوالي، مجرد الاطلاع فقط، أو لتعرف الدراسي على الأصح، لا لاحتذائه وحسابه المثل الأعلى في الإنتاج الأدبي. فالذي أعتقد اعتقاداً يقيناً مخلصاً، أنه كما أن الخيل والجمال والحمار — التي كانت كل وسائل المواصلات البرية في عصور ذلك الأدب القديم — قد تخلصت كل التخلص عن قافلة العصر الحديث ومواصلاته، بحيث لم يعد لها مكان إلى جانب القطار والسيارة والطيارة — وربما أصبح الصاروخ أيضاً من وسائل المواصلات بعد حين —، كذلك تخلص أدب الصحراء القديم العقيم، وأصاليبه التي لا تزال حية إلى اليوم على أفلام أدبائنا وشعرائنا — أو من اصطللحنا على تسميتهم أدباء وشعراء — بحيث لم يعد يصلح لعصر الحضارة الذي نعيش فيه: عصر الرادار، والتلفزيون، والقنبلة الذرية، وعصر الكثير المدهش من الاختراعات التي تحير الذهن، وتشده العقل.

\*\*\*

لست أريد أن أقطع الصلة بين ماضي أدبنا وحاضره، فالذي لا ماضي له، لا حاضر يُرجى له. غير أنني لا أريد أن نظل طائشين في حدود الماضي البائد، والقديم النميم: نشرب من مياه الترع الآسنة، والناس من حولنا لا يشربون إلا الماء المقطر، ونأكل بأيدينا من قصاع خزفية أو خشبية، والناس لا يأكلون بغير الشوكة والسكين، وفي غير أنية من الصيني المزخرف الجميل، أو من الفضة المجلوة الزاهية.



نريد أن نجعل من الماضي جسراً نعبّر عليه إلى الحاضر وإلى المستقبل ، وأن نستخلص منه العبرة التي تفيدنا ، ونبني عليها أشياء جديدة : أدباً جديداً ، وعلماً جديداً ، وحياة جديدة .

\*\*\*

### أيها الأدباء والشعراء !

من كان منكم يستهويه بريق الألفاظ ، وتأسره زوايق الجناس والتورية والاستعارة ، ويهمّه إن يقول عنه الناس : إن في رأسه قاموساً ، أو أن تصفّق له أكف الجماهير في الحفلات العامة حتى لتكاد تدمى من التصفيق ، ويقنع من الأدب والشعر بهذا وحده ، فليبق حيث هو ، وله ما يريد ، وهنيئاً له ما يريد ! فكم من صخرة ناشزة تقوم على ذراع الطريق السالكة ، أو على خدّ الحقل الجميل ! وكم من شجرة عقيم ، تتربع في حوض الرياض ، وترشف فروعها من رضاب الغدير ، فلا هي تستفيد ريثاً ، ولا هي تستطيع أن تزهو في الروض ، أو تقدّم لطيور السماء مقيلاً ولا ثمراً .

وأما من كان منكم ، أيها الشعراء والأدباء ، يُهمّه أن يؤدي رسالة الأدب إلى الحياة والأحياء ، معبراً في أدبه عن حاجات عصره ، وخلجات نفسه ، بأسطاً جناحيه كالنسر للانطلاق من قيود اللفظ وعبودية القديم ؟

من كان يُهمّه أن يقول كلمته ويمشي ، بأسلوبه الخاص ، لا بأصاليب سواه ، وبغير التفات إلى الوراء !

من شاء أن يصدح مع الشحارير ، ويعبق مع الأزاوير ، ويصفق مع الجداول ، ويتزئم مع هينات النسيم !

من كان همّه أن يؤدي رسالة الأدب إلى الحياة : الأدب الذي هو صوت السماء في أذن الأرض ، وترنيم الفردوس في مسمع الزمن الخائر ، وهذه الأزل لضمير الحياة ! من كان هذا همّه ، فإليه أوجه النداء الذي جعلته عنوان هذه الكلمة .

« احمل قلبك واتبعني ! »

عميسى إبراهيم الناعوري

كلية تراساتنا — القدس

القدس الشريف



## الحضارة

### واختلاف الطبائع

ما هي الحضارة ؟ لقد اختلف الكتاب في تعريفها . فإذا قيل العمران وجدنا أن العمران قد يكون موجوداً من غير ذوق وتميز ، والحضارة لا تكون إلاّ بهما . وإذا قيل العلم وجدنا أن العلم قد يكون تحصيلاً من غير تفكير ومن غير فهم كثير . وإذا قيل حسن الأخلاق وجدنا أن حسن الأخلاق قد يكون موجوداً في الأمم التي على الفطرة والتي لا تعرف الحضارة . وإذا قيل الذكاء والفهم والحكمة وجدنا هذه الصفات عند بعض قبائل البدو الذين لا يمتنون إلى الحضارة بسبب . وإذا قيل إن الحضارة في الثراء والبذخ وجدنا الثراء مدخراً ومكنوزاً عند من لا يعرف الحضارة . وإذا قيل إن الحضارة في انتهاز فرص اللذات والمسررات وجدنا أن الهمج من الناس قد ينهمكون في اللذات كما تفعل أصناف كثيرة من الناس . ومن أجل ذلك كان تعريف الحضارة من أصعب الأمور . ولو أن اسمها يجري في أفواه الناس كل يوم . فالترف وحده لا يتمم الحضارة ويكوّنهما ، ولا العلم وحده ولا الذكاء والفهم وحدهما ولا طيب الخلق وحده ، ولا انتهاز فرص المسرات ولا الابتكار في الفنون فالشعر والنحت والتصوير فنون كانت راقية قبل الحضارة .

\*\*\*

لقد خلف لنا ثيوكلديدس المؤرخ الاثيني في كتابه المسمى حرب البلوبونيز خطبة بركليز السياسي الاثيني وهو يؤبن قتل حرب البلوبونيز . وفي هذه الخطبة يصف بركليز صفات العظمة في الحضارة الاثينية ، أو الصفات التي يرى أنها جديرة أن تكون مقياساً للحضارة وانها أحق بالرعاية والتنمية . وقد اقتبس كثير من المؤرخين جملاً من تلك الخطبة التي يمدحها المؤرخون من أعظم الخطب سواء أكان بركليز واضعها بالنص ، أم صاغ ثيوكلديدس في كلامه ما علق بذهنه منها . فقيها نرى التسامح بين أبناء الأمة الواحدة والعدل في صيانة الحقوق ، والثقافة المؤسسة على الفهم والعمران المبني على الذوق والتميز . والاستعداد للدفاع عن الدولة من غير خشونة أو مغالاة تقضي على الجوانب الأخرى من الحياة ، ونرى الحرية



اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ، تلك الحرية التي تمنع من صب الناس في قالب واحد وقسرم على رأي واحد ومسلك واحد ونظرية واحدة ونظر واحد الى الحياة . وقد نظر الكتّاب في الحضارات المختلفة فوجدوا ان الحضارة تكون أعظم ازدهاراً وابتكاراً وأطول عمراً وأكثر تجدداً إذا كان فيها نصيب موفور من تلك الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ، وتكون أقصر عمراً وأقل ثمرة وازدهاراً اذا فقدت تلك الحرية ، وحاولت الدولة صب الناس في قالب واحد وقهرهم على أن تكون طبائعهم وأمزجتهم متشابهة .

وقد غالى بعض الكتّاب فذكر ان حرية الطبائع والأمزجة خصيصاً اختصت بها الحضارة الأوروبية دون غيرها من الحضارات ولا سيما الحضارات الشرقية . ومن أجل ذلك بادت الحضارات الشرقية ولم تبد الحضارة الأوروبية . وقد نسوا ان بعض الحضارات الشرقية كانت أطول عمراً . وان الحضارة الأوروبية القديمة التي وصفها بركليز في خطبته التي أشرنا اليها بادت كما باد غيرها ، وان الحضارة الأوروبية الحديثة قريبة العهد لا يصح الحكم فيها وفي أهلها .

\*\*\*

قال فرنسوا جيزو المؤرخ والسياسي الفرنسي ووزير الملك فيليب لويس جيزو هو واضع كتاب تاريخ الحضارة الأوروبية . ان الحضارات الشرقية كانت مؤسسة على مبدأ واحد أو نظرية واحدة أي كل حضارة على نظرية ، وان اختلفت مبادئ الحضارات

والقارى يرى في كلامه بعض ما يشعر إنها كلها على نظام واحد ونظرية واحدة ويقول ان الحضارة الأوروبية مؤسسة على اختلاف المبادئ وتباين الأسس ، وتفاوت ، النزعات مما يؤدي الى يقظة العقول والنفوس ، والى الابتكار والتوليد والابتداع . وقال جون ستوارت ميل المفكر والفيلسوف الانجليزي في كتابه المسمى كتاب الحرية . إن الحرية التي تسمح باختلاف الأفكار وحدها لا تكفي لتقويم الحضارة بل لا بد من الحرية التي تسمح باختلاف الطبائع والأمزجة والنزعات النفسية وذكر أن تعاضد الحضارة الأوروبية إنما كان بسبب تلك الحرية التي تشجع الطبائع المختلفة . وان ركود الحضارات الشرقية كان بسبب فقدان تلك الحرية ومحاولة قهر الناس على طبع ومزاج واحد . فركدت النفوس والعقول وانقطع عهد الابتكار والابتداع وركدت الحياة عامة .

وعندي أن هذه الآراء قراءة للحقائق عكساً لا طرداً كمن يقرأ الكتاب من آخره كي يصل الى أوله وذلك للأسباب الآتية : —



( أولاً ) إن الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ليست دائماً سبباً للقوى الحيوية في الحضارة، بل قد تكون نتيجةها . فالقوى الحيوية في الطبائع والأمزجة قد تسبب الحرية وتضمنها وتجعلها قضاءً محتوماً بالرغم من قهر وكبت، وبالرغم من محاولة صب الناس في قالب واحد . وأن استبدال العادة الذي يحكي عنه جون ستوارت ميل في كتاب الحرية قد يكون نتيجة لضعف الطبائع والأمزجة مهما اختلفت . وأن الحكومات الاستبدادية وجدت في أوروبا كما وجدت في الشرق . وقد اعترف جون ستوارت ميل في كتابه إن الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ظهرت في أوروبا بسبب القوى الحيوية في النفوس حتى في عصور الرغم والقهر .

( ثانياً ) إن شرط الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ليس خاصاً بالحضارة الأوروبية، فلو درس هؤلاء الكتّاب الأفاضل الحضارات الشرقية أو العالمية في أبنائها وجدوا أن حرية الطبائع والأمزجة موفورة حتى في عصور الاستبداد والقهر . فقد كانت موفورة في حضارة الأندلس العربية كما كانت موفورة في الحضارة العباسية في أشد عصور خلفاء العباسيين بأساً وقوة . ويكفي أن نقرأ كتب الأدب والعلوم العربية لنعرف إلى أي حد بلغت حرية الطبائع والأمزجة . نقرأ عن باحث خصص حياته لدراسة النمل وعاداته، وأنه كان إذا تكلم في النمل قضى ساعات طوال لا يمل ولا يملّ سامعه . ونقرأ بجانب ذلك وصف الولائم التي كانت تبلغ غاية المجون فأى اختلاف في الطبائع والأمزجة أكثر من هذا الاختلاف .

( ثالثاً ) إن عصر حرية الطبائع والأمزجة اللازمة لازدهار الحضارة . لا بد من أن يسبقه عصر توحيد للقوى وهذا العصر السابق هو عصر قيام الدول ونشأتها ، وتأسيس بأسها وسطوتها ولولا هذا العصر الذي هو عصر الجماعة ويسود فيه مذهب الجماعة لا مذهب الفردية ما أمكن أن يكون بعده عصر الحرية الفردية، لأن العصر السابق عصر توحيد الجهود النفسية والفكرية، وعصر الغلبة الذي يجلب للأمة الاطمئنان إلى عصر الحرية الفردية اللاحق به . والحرية الفردية هي حرية اختلاف الطبائع والأمزجة .

( رابعاً ) إن تلك الحرية الفردية كثيراً ما يعقبها عصر اضمحلال إذا بلغت الحرية الفردية ذروتها وضعفت الطبائع والأمزجة وعندئذ لا يغني اختلاف الطبائع والأمزجة عن ضعفها، ولا يثمر ولا تزدهر الحضارة معه . وقد ينبغي من ذلك الاضمحلال خطر خارجي دام يضطر الشعب إلى توحيد الجهود النفسية والفكرية إذا استطاع ولم تكن الطبائع والأمزجة قد ضعفت ضعفاً لا أمل معه . أما إذا كانت الطبائع قد ضعفت واضمحلت وصارت زرعاً



سطحية فلا أمل في توحيد الجهود النفسية والفكرية بالرغم من كل محاولة وبالرغم من كل خطر خارجي دائم .

( خامساً ) إن تعاقب عهود اندماج الفرد في الجماعة، وإطلاق الحرية للفرد الى أقصى حد مستطاع وغير مضر تعاقب يصلح الشعوب الانسانية ، وهو أمرٌ مشاهد في التاريخ لأن اندماج الفرد في الجماعة كما أنه يوحد الجهود النفسية والفكرية، ويمنع زيف طبع الفرد ومزاجه كذلك قد يضعف طبع الفرد، وإذا ضعفت طباع الأفراد ضعف طبع الجماعة . وإطلاق الحرية لطبع الفرد ومزاجه كما إنه يؤدي الى تقوية طبع الفرد ، وإلى استيعاب جميع مظاهر الحياة وإلى تشعب مسالك الفكر والمطلب الذي يؤدي الى ازدهار الحضارة ، فإنه كذلك قد يؤدي إلى زيف وضلال وشطط في الطبائع الفردية ، وقد يستهلك قواها . ومن أجل ذلك يتعاقب العهود لما فيه خير الشعوب ، وقد يتعاقبان لما فيه ضررها ، إذا أتى مثلاً بعد عهد فوضى الطبائع الفردية عهد قهر مرهق من عهود اندماج الفرد في الجماعة فيقضي على البقية الباقية من قواها، فيكون الفساد حيث يراد الإصلاح بالقوة .

( سادساً ) ينسب الكتّاب الأفاضل عند تحليل ركود الحضارات الشرقية في عهد ازدهار الحضارة الأوروبية أمور هامة منها : ان الحضارات الشرقية تسلمتها قبائل وشعوب لها طابع فاضلة ولكنها أقل استعداداً لتنمية الحضارة واعلانها من القبائل والشعوب التي تسلمت الحضارات الأوروبية القديمة . وليس المراد الحكم على شعب أو قبيلة حكماً أبدياً ، وإنما هو حكم الماضي من التاريخ . فالقبائل التيوتونية التي تسلمت الحضارة الأوروبية القديمة كان عندها استعداد في ماضي تاريخها لتنمية الحضارة أكثر من استعداد قبائل التتر والمنول والأتراك التي تسلمت الحضارة الشرقية . ولا سيما أن الطبائع الفردية في الشرق انتابها عهد بعد عهد أضعف قوتها على اختلاف مصادر هذا الضعف وأسبابه .

ولا ننكر ان نظم الحياة والحكم التي نمت في أوروبا قديماً وحديثاً والتي ورثها الشرق الآن بورائته نظم الحكومات النيابية المنظمة، ربما كانت أدعى الى صيانة حرية الطبائع والأمزجة . التي يقول المفكرون إنها من أهم مقومات الحضارة . بل هي الصفة اللاصقة بالحضارة، والتي لا تكون إلاّ بها في نظرهم . وهذه النظم النيابية هي أيضاً نتيجة أكثر منها سبباً، أي إنها نتيجة القوى الحيوية في الطبائع والأمزجة والنفوس . على أن هذه النظم في غير البيئة الصالحة لها ، قد تؤدي الى استبداد فئة قليلة من الأسر البيوروقراطية وأعوانها .



## العلامة اللغوي

### الاب أنستاس ماري الكرملي

بعث الي بهذه المقالة صديقي الكاتب الاستاذ محمد فاتح توفيق المدرس بتطبيقات دار المعلمين ببغداد ، ومعها صورة للغوي الكبير الاب أنستاس بعد موته بساعات ، وطلب الي أن أقدمها الي احدى مجلاتنا المصيرية ، فأثرت بها مجلة « المقتطف » لانها شريحة المجلات العربية ، ولانها كانت مسرحاً لأبحاث فريد اللغة الكرملي ...

ولقد كان بيني وبين الاب البعثة صداقة ومراسلات منذ سنوات ، وسأعود الي الحديث عنه فيما يأتي من أعداد المقتطف ، وفيما يلي نص المقالة : أحمد الشرباصي



الاب أنستاس ماري الكرملي مسجى

وعلى حين غفلة طوت يد الاقدار ابن العربية البار، والعلامة اللغوي الاب أنستاس ماري الكرملي . وما هي الا عشية أو ضحاها حتى أصبح أثراً بعد عين ، وميتاً يرثي بعد أن



كان حياً يرحى ، جف ذلك البحر الزاخر ونضبت تلك العين الدفاعة بفيض العلم والعرفان  
واندك ذلك الطود الأشم وسكت هزيم رعدده وصوته الجهوري وانطوت تلك الصحراء  
الواسعة من الحلم والكمال وصققت تلك الثمار الدانية من التواضع والجلال وسكنت الريح  
الصرصر العاتية في الخوصومات والنقد ، ولم يهب ذاك النسيم العليل من اللين والحنان .  
نفسرت العربية أيما خسران .

حقاً إن القول ليقصر عن ادراك مدى هذا الرجل العظيم بعلمه وعمله . وإن المرء  
ليقف عاجزاً عن اداء حق علامتنا المفضل الذي خدم العربية والعلم أكثر من ستين عاماً كان  
خلالها مثلاً للرجل الكامل العامل المخلص المناير الذي تزود بالعلم الصحيح والخلق الرضي  
والادب الجم ، فكان سبباً لا يبلغ شأوه أحد ولا يصل الى مقامه محيّد .

\*\*\*

ولد رحمه الله في بغداد سنة ١٨٦٦ في اليوم الخامس من آب ( أغسطس ) . وتوفي في  
بغداد أيضاً في المستشفى الملكي صباح يوم الثلاثاء في اليوم السابع من شهر كانون الثاني  
( يناير ) سنة ١٩٤٧ فيكون عمره ثمانين سنة وخمسة أشهر ويومين .

وتعلم من اللغات أكثر من عشر ، فقد أتقن الفرنسية واللاتينية واليونانية والعربية ،  
والصائبية ، والكلدانية ، والتركية ، والفارسية ، والانكليزية ، والسريانية ، وقليل من  
الاطالوية وكان يفهم البرتغالية . وقد تعلم الحبشية والاسبانية ثم نسيهما ولم تسنح له الفرصة  
لتعلم الألمانية وغيرها ، ذلك لأنه استدعته الكنيسة في بغداد حيث كان يدرس في فرنسا .  
وقد حوت خزانة كتيبه ستة عشر ألف كتاب منها ألف وخمسمائة كتاب مخطوط .  
وكان كثير العناية بكتبه يغلفها بقماش متين أبيض ، وإن أكبر نكبة أصابته سرقة خزانته  
هذه في الحرب العظمى الأولى أيام كان أسيراً في الأناضول — وهناك تعلم اللغة التركية —  
وعند عودته اضطر الى شراء كثير منها بأعلى الأثمان واشترى أكثرها من سارقها بوساطة  
آخرين ، وإن لكل كتاب لديه قصة طريفة ، فهو يتحدثك عن شرائه وعن تعرفه بياثمه  
ومساومته له حتى يصل الكتاب الى خزانته :

وقد جاب الآفاق والاقطار لجمع هذه الكتب وللبحث والتنقيب والدرس ، وزار معظم  
الممالك في القارات الثلاث : آسية وأوربة وأفريقية ، ولم يتسن له زيارة أميركة ، وأستراليا ،  
وعند ما يتحدثك عن كتاب مفقود فكأنه يتحدثك عن أعز ولد له قد فقد . وفي الحقيقة ،



لا أحسب أنه كان يحزن لفقد ولد — لو كان ذا ولد — مثل حزنه على كتاب مفقود من كتبه النادرة .

وأعظم مؤلفاته معجمه الكبير « المساعد » الذي اشتغل به زهاء ست وستين عاماً ، أي منذ الخامسة عشرة من سنه ، وعند ما سئل : وهل انتهى هذا القاموس ؟ أجاب : « وهل تنتهي اللغة العربية ؟ أنا الذي انتهيت » .

ولقد قضى سنواته الأخيرة يعاني الأوصاب والأوجاع ، ويحتمل الآلام في ظروف قاسية بين أناس لا يرحمون ، ولم يجد من يخدمه أو يُعنى به ، إلا أهل بيت له صلة قرابة بهم أسكنوه معهم — بعد أن هدم الدير الذي يسكن فيه — فأحسنوا خدمته ورعايته ، وذلك قبل سفره الأخير الى فلسطين .

ولقد أقيمت له حفلات الترحيب في فلسطين في زيارته الأخيرة لها ، وكان يذكرها بالشكر والتقدير للقائمين بها . ولقد عولج هناك وشفي . ولما عاد إلى بغداد أحاطت به نفس الظروف القاسية واحتواه أناس يحقدون عليه ويكرهونه ، إذ هم غرباء عن هذا البلد ، وما له معزٍ منهم ، فخرى بينه وبينهم ما أثار أعصابه فنكس وطاوده المرض أشد من قبل . فقررت الحكومة العراقية نقله إلى المستشفى الملكي ومعالجته على حسابها . وبقي هناك حتى وافاه الأجل المحتوم بانفجار في الدماغ .

زرقته في المستشفى أسأله عن صحته وحاله مع بعض الاخوان . فقال « إنك تراني كيف أصبحت وبأنتي أشكو من شلل في كفي اليمنى ورجلي اليمنى وإني لأحسبهما كخرقة لأحس بهما ولا أستطيع تحريكهما ولا أقوى على السير على رجلي اليمنى أو الكتسابة والمسك باليد اليمنى . ومع ذلك فاني لازلت أردد مخاطباً إلهي العظيم ، كلما زدني ألماً زدتك حباً . فقلت له خيراً ودعوت له بالشفاء .

وكان يسير في طريق الشفاء فقد زرناه مساء الاثنين السادس من كانون الثاني ( يناير ) أي قبل موته بساعات فكان صحيحاً معافى ، قوي النبرات لطيف الكلام — كماداته — برحاً يلقي النكتة إثر الأخرى ويقول الدعابة ويتبعها بغيرها . وهكذا قضينا الوقت ونحن نحسب أنه سيقادر المستشفى بعد أيام قلائل . فكان لنعيمه وقع شديد في نفوسنا . وكان موته مفاجأة لنا أذهلتنا وأطارت رشداً .

وإذا ذكر الاب أنستاس الكرملي فلا بد وأن يذكر معه « مجلس الجمعة » وما مجلس الجمعة هذا ؟



كان من عادة الأب الراحل ان يعقد اجتماعاً صباح كل جمعة من الساعة التاسعة حتى الثانية عشرة يقبل فيه زائريه ، واتخذ إحدى غرف الدير لهذا المجلس وفيما عدا هذا يتفرغ للبحث والعمل ولا يقبل زائراً إلا إذا كان معه على وعد سابق وفي وقت معين .

\*\*\*

وكان يختلف الى مجلسه جماعة من المشتغلين بالعلم والآداب ومن مريديه ومحبيه وعارفي فضله فيدور البحث في مواضع شتى من لغة وأدب وعلم وتاريخ وفن — ما عدا السياسة والدين — وفي كل ذلك للأب رأي فيه ونصيب وافر منه . وكثيراً ما كان يتحدث الجدل بين حضرة الأب والاستاذ عباس العزاوي فيثور العزاوي ويقابل الأب هذه الثورة برجابة صدر وطول بال . فإما هي إلا لحظات حتى يعود الصفاء وتحل الابتسامة محل التعجب وكان لم يكن شيء ، وما كان الاستاذ العزاوي يثور هذه الثورات العصبية وتبلغ الحدّة به أحياناً مبالغاً كبيراً في حضرة الأب ومجلسه ، لولا الصداقة المتينة التي تربطه به والتقارب النفسي في السن ، أمّا غيره فيلجأ الى الهدوء والآداب والاحترام في مناقشاته مع الأب ويجادل بلطف ، فإما أن ينتصر أو أن ينزل عن رأيه . وفي معظم الأحيان يكون للأب القول الفصل والحكم القاطع .

ومن أظرف ما كان يحدث في هذا المجلس ، المنافسة التي كانت تحدث بين المرحوم الأب والاستاذ العزاوي في الكتب ، فلأخيراً أيضاً خزانة كتب حارة ، فهذا يقول عندي الكتاب الفلاني وهو ينقصك وذاك يحجب بأنه خير لديّ منه مما لا تعلمه ، وهكذا . ولقد يسأل بعضهم بعضاً عن الجديد في خزانة كتبه أو ما جدّ في عالم التأليف .

ويتلو على مسامع الأب كل ما سطر من مقال أو دمج من موضوع أو نظم من شعر في مختلف المواضيع ، ولا يفوته خطأ إلاّ نبه عليه . وتعرض عليه أسئلة مختلفة فيجيب عنها جواباً شافياً صريحاً لا لبس فيه ولا ابهام مع الدليل والبرهان والحجة .

ولقد كان الجميع موضع اهتمام الأب وعنايته فيسأل عن كل واحد منهم سؤال الأب الحنون والأخ الكبير ، ويعتب على من يغيب عن مجلسه وربما أغلظ في العتاب إن لم يكن الغياب عن عذر مشروع أو مانع معقول .

ولا يقدم في مجلسه شيئاً مما يقدم في المجالس الأخرى كالكهنة أو الشاي والسبكرة أو ما شاكلها . ولقد قال مرة لمعالي الدكتور ابراهيم ماركس الآلوبي - في إحدى زيارته له -



وكان إذ ذاك وزيراً للمعارف : « يا صاحب المعالي ، الرَّبَّع<sup>(١)</sup> هذا يعرفون أنه ليس في مجلسي شاي ولا قهوة حتى ولا سيكارة خلاك حالمهم . فضحك معاليه وقال هذا المجلس علم وأدب ويكفيينا ذلك .

وقال لمعاليه ، أيضاً : إن أكثر الحاضرين في هذا المجلس من رجال المعارف من معلمين ومُعلَّاب فهم أتباعك . فسرَّ معاليه وقال : أنا أيضاً طالب علم في مجلسك .

ولقد تخوَّن الذاكرة ، فيطول البحث في موضوع أو عن كلمة فلا يهتدي الى موضعها أو مظنتها ، ثم يقبل الدكتور مصطفى جواد ، وهو من أصفياائه وملازميه فيحل المشكلة بأن يذكر لهم المصدر أو التاريخ حسب المطلوب والحاجة ، وذلك بما وهب من ذاكرة قوية وحافظة عجيبة .

ولئن تماديت في ذكر أفراد مجلسه يطول بي الكلام ويطول . ولكن إن أنس فلا أنسى ذلك القتي الألمي الذي كان زينة المجلس الأستاذ علي غاب المزايي المحامي شقيق الأستاذ عباس العزاوي . وقد كفَّ بصره عند الكبر . فقد كان حلو الحديث والشمايل ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، مرحاً لطيف المعشر ، ذا أخبار وأحاديث طليمة ومسرَّة . وقد اغتالته يد أئيمة فمات شهيداً .

وكانت طريقته في البحث والدرس علمية صحيحة لا يلقي الكلام على عواهنه ولا يقول القول جزافاً ولا يؤمن إلا بما يثبت بالدليل والنص والتجربة .

وكان يحب من يحافظ على مواعيده ويتمسك بها في الوقت المحدد فإن اتفقت وإياه على موعد وجب عليك أن لا تخالفه وإلاَّ تعرضت لنقمته ونقده .

ومن عاداته أنه لا يهمل أي رسالة ترد إليه فيرد عليها في الحال بنفسه أو يكلف غيره إن أقعده عن ذلك مرض .

وكانت الروائح القوية تزججه وتثيره وخاصة رائحة الخمرة فلا يقوى على شمها . واحتفظ الى حين وفاته بقواه العقلية كاملة ومحدة بصره وقوة سمعه ونبهرات صوته القوي الجهوري ، وببدايته وقوة بنيته ، على الرغم من اصطلاح الملل عليه وخاصة في السنوات الأخيرة من حياته ، وعلى الرغم من قضائه الوقت بالدراسة والمطالعة والبحث .

ولقد كان دائب المطالعة والمراجعة حتى إنه ليقرأ الكتاب الواحد من المراجع المهمة

(١) الربيع : بمعنى الاصحاب .



عدة مرات ، فترى مثلاً وقد كتب في نهاية كل جزء من أجزاء « تاج العروس » انتهت من قراءته للمرة الثالثة أو الرابعة ( أو أكثر ) بتاريخ كذا . وهكذا الشأن في معظم كتبه وهل تحسب أنه يقرأ هذه الكتب قراءة طابرة ؟ — لا . إنه ليدقق ويحقق ويعلق ويضع الخطوط الزرق تحت ما هو مغلوط فيه والخطوط الحمراء تحت ما هو صحيح أو موافق رأيه .

وكان شديداً على خصومه عنيداً معهم — وما خصومه — إلا أعداء العربية والذين ليس لهم منها نصيب وهم مع ذلك أدعياء فيها ، فيهرأ بهم ويتهمهم وينعتهم بمختلف النعوت التي لا ترضيهم ، فإن كثرت أخطاء أحدهم مثلاً ، نسب كتابته أو قوله إلى اللغة الشنقافية لغة — فريق من الجن — أو لغة واق الواق وهكذا بما لا تعدى الذاكرة .

ومع ذلك كنت تراه يشجع الناشئين ويأخذ بأيديهم ويثبت فيهم روح الأمل ويبعث في نفوسهم الهممة ويثني عليهم ويرفع من قيمتهم وشأنهم وإن لم يكونوا أهلاً لذلك .

\*\*\*

وبعد فالحديث عن الاب أنستاس الكرمل كالحديث عن البحر أو الغيث الذي ينهمر ، طويل لا ينتهي ، وواسع لا يحُد ، فقد كان أمة وحده وخصية عجيبة غريبة يجب أن تؤلف عنه الكتب وتدرس سيرته . وكنت أود أن يزوره في حياته كل متكبر مغرور جبار ، ليأخذ منه دروساً في التواضع وكال الخلق والطف والآداب الجم وكرم الأخلاق .

وإن فقدته لا يعوّض ، فقد ترك حبيبته اللغة العربية تلطم خدّها وأنشج جيبها على من راحها عشرات السنين وأزها من نفسه أسمى منزلة وأكرم مقام . وهي اليوم منجوعة لا تجد له بديلاً ولا ترضى عنه عوضاً .

وإن بموته تفرّق ذلك الجمع النظيم من طلاب العلم والآداب ، ومن رواد مجلسه ومرثف فيض علمه ومعرفته ، وفقد ملجأه الروحي الذي إليه يسكن .

أيها الاب الراحل الكريم ، إن فضلك علينا عظيم ، ونفعمك عميم ، وهيبات أن نستطيع رد هذا الفضل وما لا يدرك كله لا يترك جله . ويكفيننا أننا حكمنا الدمع النخيل على جثمانك وما زلنا نسكبه كلما خطرت على بالنا ، وأنت تمثل في الخاطر دائماً . وإننا سنظل محفّطين بذكراك ، وناهجين على منهجك القويم ، وصائرين على خطتك . فتم هانئاً آمناً مطمئناً .



## عيناك !

ولئن كان البصر خير حواسنا الخمس ، فأننا لا نعطي أدواته حقها من العناية اليومية . .  
فكم أجزاء من الجسم يعني المرء بها كل يوم ، قبل أن يفكر في العناية بعينه .  
وقد يكون العذر أنك لا تعرف طرق العناية بالعين . . فإليك البعض منها . . اتبعه تحفظ  
بصرك سليماً قوياً :

١ — اذا أحسست تعباً في عضلات عينيك فاعسلهما بماء بارد . ودلكهما بمنشفة نظيفة  
تدليكاً دائرياً . . ثم أغلقهما واضماً راحتك على أجفانك لمدة خمس دقائق .  
٢ — عرض عينيك للشمس وأنت مغمض الاجفان في الصباح الباكر . . وكذلك في  
وقت المغرب لبضع دقائق .

٣ — لا تقرأ وأنت مستلق في السرير على ظهرك . . وإياك أن تقرأ في ضوء خافت .  
٤ — يجب أن تكون الاضاءة للقراءة جيدة . وأن تكون من خلف القارئ بحيث  
لا تصدم عينيه . . كما لا يجب أن يكون هناك أي ظلال على الصفحة التي تقرأها أو تكتب عليها  
٥ — يراعى أن يكون الكتاب بعيداً عن عينيك بثلاثين سنتيمتراً . واقرأ أو اكتب  
وأنت معتدلاً في جلستك دائماً . وقرب الصفحة اليك ولا تنحني عليها .

٦ — تمارين الرقبة تفيد البصر وتقويه . فحرك رقبتك ذات اليمين وذات اليسار . .  
عشر مرات . . وكذلك الى الامام والى الخلف . . وتحريكاً دائرياً أيضاً .

٧ — قبل أن تنام اغسل عينيك كل ايلة بمحلول حامض البوريك ٤ ٪ لازالة ما علق  
بهما من أتربة طوال اليوم . . وفي الصباح ضع فيهما بضم نقط من الطرة الزرقاء التي  
تصرفها وزارة الصحة اطالبيها

٨ — زراعت وأفراد عائلتك طيب العيون مرة في السنة على الاقل . وان لم يك  
بأحد منكم مرض بعينه يدعولضرورة هذه الزيارة .

٩ — عينا طفلك جوهرتان . . رسالة القباب ان يسلبها . . فاطرده دائماً عن عيني  
طفلك . . لانه يسبب له الرمد الصيدي . رسول المي في مصر .

١٠ — ضع « نظارة » شمس على حينك كما أسرت في وهج الطريق .

فرهمي عطا الله



## أنغام باكية

سلوا الأيام هل رقت لحالي  
 وهل رنت بأنفاسي كؤوساً  
 وهل الراح أعطاف الندامى  
 وهل بكت الطيور يشدو روجي  
 وهل غنى حداة العيس ليلاً  
 وأنّ الريح من شكوى غرامي  
 عرفت الحب فذاً عبقرتاً  
 وقد يساو محب عن هواه  
 وغاية هذه الدنيا فناء  
 سيصحبني غرامي في حياتي  
 ولم أر كالهوى داءً نبيلاً  
 عجبت له يسوم الجسم حيفاً  
 وقد نادت به الدنيا وكلت  
 شقيت به شقاء عبقرتاً  
 فما بكت العيون بمنزل دمعي  
 ولا خطّ اليراع على جبين  
 وكم بالغت في شكوى زماني  
 وإن كان الهوى حرّاً نبيلاً  
 أفصّي الليل أسأل عن حبيبي  
 ولو أنّي رحت لمت وجنداً  
 فيا أهل الهوى إن ناح طيرٌ  
 سلوا الأيام هل رقت لحالي  
 وهل أصغت لشكواي الليلي  
 وهل نطقت بأسرار الجمال  
 وداعبت النهى بنت الدوالي  
 على الأغصان أو فوق التلال  
 بنجوى مهجتي بين الرمال  
 أينما هز أركان الجبال  
 فعلمني الهوى نبل الخصال  
 ولست عن الهوى يوماً بسالي  
 وحي لن يصير إلى زوال  
 ويبقى ذكره بعد ارتحالي  
 ولا نقصاً يقود إلى الكمال  
 ويسمو بالنفوس إلى المعالي  
 ولم يكن الهوى فوق احتمالي  
 وجافني له صبحي وآلي  
 ولا ممع الزمان بمنزل حالي  
 ولا جرت السطور بما جرى لي  
 فما رحم الزمان ولا رثي لي  
 فأذنّ للسعادة بالزوال  
 فلا أجدر الجواب على سؤال  
 ولكني أعيش على الخيال  
 سلوا الأيام هل رقت لحالي

عفيفي محمود عفيفي

كلية العلوم بالعباسية



## الحرب والسلام

### كلمة تمهيدية

كنت أستمع ذات عشية إلى برنامج ( الأمناء على العقل <sup>(١)</sup> ) الذي تذيئله محطة الإذاعة البريطانية فأصغيت إلى محاوره طريفة تجري بين نخبة من أصاطين الفكر في بريطانيا. ويلوح لي أن هؤلاء السادة المفكرين قد أدركوا ما تعرض له العقل البشري الحر المنتج من حرج وعنت وخطر بسبب ما فرضته أحوال الحرب من قيود شديدة ومن خضوع للدعاية واستكانة للعاطفة المغرضة، فرأوا أن يصرفوه إلى معالجة المواضيع العلمية والأدبية البحتة، لعلّ الذهن بهذا الغذاء المفيد الصالح يخرج من غمرة الحرب، وقد نما وازدهر وجلى عن نفسه صداً الخمول وفزع الأيام القائمة، فيعود كما كان قبل الحرب بل أروع وأنشط.

أجل، لقد شُخفت بالاستماع إلى هؤلاء العلماء والأدباء الذين نصبوا أنفسهم أمناء على العقل بل حماة له، فجعلوا يعقدون جلسات دورية يتناولون في أثناءها البحث والاجابة على أسئلة مختلفة ترد عليهم من أطراف المسكونة، فيجيب كل منهم بدوره رتجلاً، مبدئياً رأيته في كل نقطة، فيحدث بينهم تارة جدل عنيف صاحب، وأخرى يسود الهدوء الشامل المنبئ بالاتفاق. وأعجب ما فيه حقاً وأكثره لفتاً لنظر المستمع الشرقي ومجلمة لاهتمامه واحترامه اختفاء المنافسة الشخصية الحادة حين مداولة البحث، إذ تحفزهم روح العلم وروعة التهذيب على احترام آراء بعضهم بعضاً والسعي معاً إلى بلوغ الحقيقة المطلقة. فيتناول عريف الجلسة ما يبيده الأعضاء من آراء، وبراعة نادرة يحاول تلخيصها والتوفيق بينها. ولا يكاد يشذ عن هؤلاء إلا الفيلسوف الانجليزي المشهور البروفسور (س. م. جود) <sup>(٢)</sup> ذو النبرة الموسيقية الحلوة والسقل المهيمن والمعرفة الدقيقة الشاملة المؤذية أحياناً بسبب ذلك، والبديهة الحاضرة والمقالة اللطيفة تجري على لسانه فتطرب عقل السامع وقلبه معاً.



والفيلسوف (جود) فلما يذعن لرأي أحد في أثناء النقاش . وكم من رؤوس صلبة تحطمت على صخرة رأسه !

في تلك العشية ممعتهم يجيبون على هذا السؤال — : « لو قيل أنك بعد ستة أشهر سوف تبرح هذه الدنيا إلى عالم البقاء ، فما عساك تصنع في خلال هذه المدة ؟ » .  
ممعت الفيلسوف (جود) يصرح بأنه لن يبدل طراز عيشه ، بل يمضي في الحياة كأنما هو يجهل ساعة الموت . ويعمل ذلك ويدعمه بقوله إنه لو بدّل شيئاً — في البقية القليلة الباقية له من عمره ، لدلّ هذا على أنه قضى حياة فاشلة ، وأنه يجهل جهلاً تاماً كيف يعيش عيشة مثالية مرضية » .

وقال العلامة جوليان هكسلي <sup>(٣)</sup> « يُحَيَّلُ إليّ أنني سأقضي معظم الوقت في الاجتماع إلى روائع بيتهوفن وشوبرت ومندليف الموسيقية الخالدة ولسوف أظلُّ أكرع من ينبوع هذا الفن الرفيع حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً » .  
بيد أنه لفت نظري جواب أحدهم إذ قال : « أما أنا فلنستوف أطالع قصة ( الحرب والسلام ) لتولستوي ، وأعيد قراءتها المرة تلو الأخرى . حتى أستشبع من هذا الأدب الرائع وأزود منه الزاد الكافي قبل تلك الرحلة الطويلة الشاقة » .

وفي جلسة ثانية ممعت غيرهم يجيبون على هذا السؤال : « لو قدّر لك أن تكون مؤلفاً قصصياً خطير الشأن ، فما القصة التي تختارها من بين قصص العالم وتمنى لو كنت ألقتها ؟ »  
ومع أن بعضهم ذكر ( البؤساء ) لهوجو وديفد كبرفيلد لكندز وغيرها إلا أنني كدت ألس إجماعاً على كتاب ( الحرب والسلام ) لتولستوي ،  
وقال الناقد الأديب المشهور فورستر في إذاعة لهم « أنه لا نزاع ولا إشكال في أن قصة ( الحرب والسلام ) لأعظم ما أنتجه عقل أوروبي في هذا الباب » .

ولا أخال القارئ بعد ما سمع ذلك الاطراء عن هذا الكتاب إلا تائقاً لمطالعته . وهذا ما فعلته مدة شهر ، حُملت في أثناءه على أجنحة الخيال إلى أوائل القرن التاسع عشر ، وألقيت نفسي ها هنا في أجواء روسية تارة ، وأخرى أوروبية طيلة الأيام التي قضيتها في صحبة هذا الفيلسوف العظيم ، حتى كدت أنسى أنني أعيش في منتصف القرن العشرين معاصراً لأعظم أحداث شاهدها التاريخ .

ولقد خطر لي أن أعرض للقارئ الكريم بعض الفصول التي وقفت عندها في أثناء



مطالعتي لهذه القصة ، عسى أن نجد في عرضها ومراجعتها غذاءً كاملاً لنفوسنا وممتعة وزاداً نقبلُغ به في حياتنا الفكرية والروحية . فما أحوجنا إلى هذا الزاد في هذه الدنيا المقفرة الخالية من أطايب الفكر والروح ! بل ما أحوجنا إلى مطالعة تواستوي والحديث عنه . فإن اسمه بلسم يشفي جراح هذه الإنسانية الشاردة المعذبة ، ويلبس قلوب أهل الفكر الكسيرة ليلطف عليهم الحياة القاسية . ويبعث في نفوسهم القوة على مواجهة أحداث الزمان بإيمان وثقة وصلابة .

إن اسم تواستوي رمز لقوة الروح التي لا يطمسها صخب الأيام ومثال للعقيدة الراسخة وعنوان للإصلاح الاجتماعي والمحبة الإنسانية الشاملة .

### نظرة شاملة

تعتبر قصة ( الحرب والسلم ) أعظم ما أنتجه تواستوي لأنها تتناول موضوعاً تاريخياً خطيراً هو كفاح روسيا المرير ونضالها الجبار وعلى رأسها القيصر الكسندر والقائد كوتوزوف ضد جحافل نابليون الغازية الفاشمة . وتبدأ حوادث القصة قبيل واقعة أوترلتر . وفيها يعالج الكاتب الحرب كرمز للقوى الاجتماعية الكامنة الساعية للظهور بشق السبل ، وليس كحركة «دراماتية» يمثل أدوارها أفراد معدودون . ولهذا فإنها تؤلف وتجمع بين الواقعية والصوفية ، إذ تصوّر بهارة وابداع هول المعارك وما يعتلج في نفوس المتحاربين من عواطف وأفكار . والكاتب يترك في نفس القارئ أثراً عميقاً بليغاً لا يخلو من التشويش فيشعر كأنه قد خرج من معمة القتال بنفس مفعمة بدخان الحرب ودوي المدافع ، ممتلئة بالذكريات الرهيبة والأشباح المرعبة . إنما أثر واحد يظل بالغ الانطباع في النفس كالآثر الذي يتبقى في نفس الجندي حين يخرج من حرب خروس وقد عزا نجاحه منها إلى عامل الحظ أو المصدفة أو القضاء الذي يلعب أدواراً كبيرة في حياة المقاتلين بل في مجرى جميع الحوادث التاريخية أيضاً .

تقع قصة ( الحرب والسلم ) في مفترق السبل التي سلكتها القصة منذ القدم ، وكانت في مقدمة الكتب التي مهدت السبيل لظهور هذا اللون من الأدب القصصي الذي يتجلى فيه الأسلوب الحديث ولو لم يسبقه إلى القصص الإنجليزي المشهور ريتشاردسن Richardson لصح القول بأن ( الحرب والسلم ) تعيّن الحدّ الفاصل بين أسلوب القصة القديم والحديث ، ففيها انتقال من القصة التي تتميز بالتمثيل في الكلام وعدم تدخل المؤلف بصورة مباشرة فيما يقوله أشخاص القصة أو يفعلون كما هو ظاهر في بعض قصص دوستويفسكي إلى تلك



التي يعبر فيها الكاتب عن رأي خاص ووجهة نظر معينة في كل ما يعرض له من مواضيع وأحداث ، فيقف بين الفينة والفينة وقفات قصيرة أو طويلة حسب مقتضى الحال ليعمل ويحلم ويدسط ويعلق .

ولقد تسرب العياضل السيكولوجي إلى سرد الحوادث وبحث الأوضاع الاجتماعية والسياسية والروحية ووصف الأشخاص . وبرع تولستوي في الغوص على مكتونات النفس البشرية واستخراج دقات العقل الباطني إلى حد يُخيّل معه إنك أمام عقل وعي أصول السيكولوجيا الحديثة . لقد كانت القصة تمتاز من قبل بوصف الكاتب أفعال الأشخاص وسرد أقوالهم دون تعليق عليها ، أما تولستوي . فقد تطرق إلى بسط الأسباب وإيضاح العلل وشرح الدوافع الخفية التي تحرك أشخاص القصة وتحفهم للعمل ، كما يتعلّس على الخصوص في ( الحرب والسلام ) و( أننا كارائنا ) ولهذا باستطاعتنا تقسيم مؤلفات تولستوي في باب القصة ومن حيث مراعاة التحليل السيكولوجي إلى قسمين الأول وهو دور مران وتخصير ، والثاني وفيه ألف ( الحرب والسلام ) و( أننا كارائنا ) على نسق جديد ، بيد أنه في ( الحرب والسلام ) أكمل فنه وحسنه وجعله غاية في نفسه .

ولقد اتخذ تولستوي لقصة ( الحرب والسلام ) جواً تاريخياً زادها قيمة وروعة وبهاء وقرّبها من الحياة الواقعية ، وقدّمها للناس أدباً ممتازاً ، فتكاد لا تدري وأنت ماضٍ في مطالعتها أني الماضي تعيش مع أولئك الناس الذين امتلأت نفوسهم وأذهانهم باسم نابليون ، أم في الحاضر بمشاكله وشؤون الختلفة كل الاختلاف ، بل إنك في الواقع تحار في ما تقرأه ، أحقية تسميه أم خيالاً ؟ لأن تولستوي كان بارعاً في اكساء الحقيقة ثوباً موثياً زاهياً من الخيال الوثاب ، وبريشة فنان ماهر طالج تيار الحوادث التاريخية التي يطرب لها الأدباء ولا يأبه لها صغار المؤرخين ، فيندر أن تعثر عليها في كتب التاريخ . تلك الحوادث الفردية والاجتماعية التي تجمعت وتكونت وصارت فيما بعد تاريخاً قوياً تدفق وفاض على المجتمع الروسي ، وغمر العائلة الروسية والأوربية كذلك . ومهما قبل ضده من عدم اتقانه إبراز صورة لنا نابليون برهن عنها التاريخ ، ومهما أثير من جدل واعتراض حول تعليله أسباب الحوادث التاريخية ، فاني أراه سيّداً لا يُدافع وفناناً ذا عين نافذة دقيقة التصوير ، وذهنية جبارة تبصر أكثر وأبعد مما يستطيع المؤرخ أن يفعله . بل إن قصة ( الحرب والسلام ) تصحّ أن تسمى الحلقة المفقودة بين الحقيقة والخيال ، وبين الأدب والتاريخ ، ذلك أنها مزيج رائع من الحقيقة والخيال وصورة فائقة خلاصة يتعاقب فيها الأدب والتاريخ .

وفي ( الحرب والسلام ) ابتدع تولستوي فنّاً جديداً خالداً هو فن القصة المعلقة المكشونة

التي تعرفك  
والصدقة  
ظلّ ماضياً  
القصاص التي  
وتكاد تقف  
توصده خلف  
و ( الطاحو  
أما ( ا  
أن تيار الخ  
رغم انتهاء  
أن القصة أ  
إلى ما لا نه  
كتب تولست  
( الحرب و  
القصاصي  
( أنها صور  
وهنا نرى  
النطاق الواسع  
القصة جميعهم  
الأزمان  
ويقول  
تولستوي  
وفي ميدان  
لأن حوادث  
معقبة في نف  
أوتاراً عظيم  
مساحات رو  
وجرت عليه



التي تعرفك في بدء الأمر على مجتمع غريب عندك ، ثم تدنيك من أفرادهِ وتوثق عرى الألفة والصداقة بينك وبينهم لمدة طويلة . وحين يفرض عليك القدر القاسي مفارقتهُ ، تجد أنه قد ظلّ ماضياً في سبيله دون أن تعرف له نهاية . على الضدّ من ذلك ما تعودنا مطالعته من القصص التي ترى لها بداية واضحة وتصل فيها إلى نهاية محدودة تسكن عندها كل حركة ، وتكاد تقف كل نبضة من نبضات الحياة ، كأن لها باباً تلجّه في أول الأمر ، ثم ما تلبث أن توصده خلفك حين تفرغ من مطالعتها . من هذا النوع مثلاً ( سوق الغرور ) لنا كاري ، و ( الطاحونة على نهر فلوس ) للكاتبة الانجليزية المعروفة بجورج أليوت وغيرها .

أما ( الحرب والسلام ) فتكاد تجيء في صعيد واحد مع الإلياذة والأوديسا ، ذلك أن تيار الحوادث وسيل الحوادث ونهر الزمان لا يقف في أيٍّ منها إلى حدٍّ أو يبلغ نهاية رغم انتهاء الكتاب ، بل يظلّ جارياً جارفاً أبداً ، متدفقاً أبداً . وفي كل مرة يبدو لك فيه أن القصة أو شكت أن تنتهي ، لمحت حوادث جديدة قد تولدت وانبعثت وراحت تسعى إلى ما لا نهاية له ... وهذه ميزة تنفرد بها قصة ( الحرب والسلام ) وحدها ، ولا توجد في كتب تولستوي السابقة أو في قصص غيره من الأدباء . لهذا فإن قصة ما لم تحو ما حازته ( الحرب والسلام ) من شهرة واسعة في أوروبا ولا سيما في بريطانيا . فقد سماها الكاتب القصصي المشهور ( غلزوردي : أعظم قصة ألفت ) . وقال عنها الناقد الأدبي ( لبوك ) ( أنها صورة للحياة لا يعلو عليها شيء ) إن أول واجبات الكاتب القصصي خلق الحياة ، وهنا نرى كيف يخلق الحياة بحق . إذ أن قصة غيرها لم تتناول عامة الناس على مثل هذا النطاق الواسع الذي تلجّه في الحرب والسلام . فبيير وأندرو وناثاشا وغيرهم من شخصو القصة جميعهم من أبناء الأمس واليوم والغد ، ولا ينفرد أحدٌ بشيء من كل الناس في كل الأزمان !

ويقول الناقد الانجليزي فورستر في كتابه ( جوانب من القصة ) « لم يتسنّ لكاتب غير تولستوي وضع صورة كاملة لحياة الانسان في المظهرين البيتي والطولي ، المتمثلين في البيت وفي ميدان القتال . والقارئ لن يضيق ذرعاً بهذا الكتاب أو يعثره ملل وسأم من قراءته لأن حوادث القصة ترفعه على أجنحتها رافعاً وتجري به فوق الفضاء وفوق الزمان معقبة في نفسه أثراً كآثر الموسيقى الخالدة . فيشعر حين يقطع شوطاً في قراءتها كأنها أوتاراً عظيمة قد تحركت خلفه باعثة أنفاساً شجية ساحرة . أوتاراً آتية بالنغم العذب من مساحات روسيا الممتدة الشاسعة ، قد انتثرت فوقها بحور وغابات وحقول وأنهار وجسور وجرّت عليها أحداث وخطوب وتحركت فوقها أمم ومجوب . فتتملى نفسك حين تمر بها



أو تستعرضها معاني طالية ومشاعر سامية وألحانا مدوية رائعة . كثيرون هم الذين يتحسسون الزمان بالزمان حين يكتبون ، بيد أن الذين يتحسسون بالفضاء قلائل . ومنهم تولستوي فانك تشعر أن كل حادث في القصة بل كل عنصر منها حتى حالة علاقته بالفن العسكري يكاد يجذب وراءه حياة زاخرة بالناس من كل جنس ولون ووجوداً هائلاً تحس به وتدركه فتنتطبع في نفسك كل الحياة « ام

ولقد أجاد الأديب الفرنسي دي فوج الثقة في الأدب الروسي حين قال « من اليسير ادراك ما يخامر القارئ من شعور وهو يطالع ( الحرب والسلام ) أو ( أناكارانينا ) . فانه يرى نفسه بادىء ذي بدء حائر العقل ، مبطل الذهن لا ينساق مع حوادث القصة بسهولة ثم يعتريه سأم وكل عقلي ما يلبث أن يزولا بعد أمد قصير ، إذ تحمله حوادث القصة حملاً وتدفعه مع حركتها الدائمة دفعا وتأسره بما فيها من مشاعر متنوعة وألوان من الحياة مختلفة ، وتجعل له من بين أشخاصها أصدقاء يحب أن يدنو منهم ويعاشرهم ، وأن يسير أغوارهم ويبحث عن مصائرهم في الحياة . بل أن يشعر حين ينجز قراءتها بما يشعر به كل فرد من لوعة الحب وأذى الفراق حين يودع أسرة نشأ في ظلها وترى مع أبنائها ، وطاشهم أعواماً طويلة . ان قصة ( الحرب والسلام ) صورة صادقة لحياة مسافر رماه الدهر بصحبة فئة من الناس الغريبين عنه ، فالعيش معهم يبعث في نفسه القلق والاضجر والكدر في بدء الأمر ، ثم سرعان ما ينكشف له ما غمض عليه من أمرهم ، ويبدو مألوفاً محبباً لديه ما غرب من طبعهم ، فيجذب إليهم ، ويتعود طريقتهم في الحياة ، ويمتزج بهم حتى يرى نفسه واحداً منهم ، فلا يعود يطيق الافتراق عنهم . وهذا شأن القارئ مع هذه القصة العظيمة » . ولا بد أخيراً من الإشارة الى أن تولستوي كان حاذقاً في تقسيمه أشخاص القصة إلى فريقين عائلي وتاريخي دون الخلط بينهما بما قد يزيد في تعقيد عناصر القصة أو تشويش حوادثها . وقد يفيدك ان تذكر وأنت تطالع ( الحرب والسلام ) أن تولستوي كشأنه في معظم قصصه قد صور بعض جوانب خلقه ومظاهر شخصيته وطرفاً من حياته في البرلس أندرو ، هذا البطل الانساني الطامع الذي لست أشك بأنك سوف ترى فيه همماً طالية وصفات نبيلة سامية تحفزك لاحترامه ، بل تحب اليك مصادفته ، وتدفعك لأن تذرف الدمع مثل ما فعلت يوم رأيته يفارق الحياة . كما أن جانباً من نفس تولستوي يبرز بوضوح في شخصية بيار الفدنة الذي يعتبره أكثر الناس ، واعتبره كذلك بحق ، بطل هذه القصة العالمية .



## تولستوي وتعليل الحوادث التاريخية

لا ريب في أن جانباً من عبقرية تولستوي كما تتمثل في قصة ( الحرب والسلام ) يتجلى في هذه الوقفات التحليلية العميقة التي يقفها على هامش القصة لمعالج فيها ما يعرض له من مسائل التاريخ ومشاكله الكبرى ، ولست بحاجة لتفصيل حوادث هذه الحقبة من التاريخ التي يعيش فيها أشخاص ( الحرب والسلام ) لأنها أشهر من أن توضح وتعرف اللاديب المثقف . ولست أشك في أنه لم يمر على أوروبا في جميع أدوار تاريخها السياسي برهة لفتت إليها الأنظار ، وأعقب في أذهان الأوروبيين تأثيرات وانطباعات أبلغ وأعمق مما فعلته تلك الحقبة من التاريخ التي عُرِف فيها نابليون قائداً عظيماً اسمه على كل لسان ، وفنصلاً ثم امبراطوراً خطير الشأن ، ولست أدري من أبعد تأثيراً في نفوس الناس وأشد وأعمق ، ذلك العهد من التاريخ ، أم هذه السنوات الست التي ودّعناها بالأمس وحان العالم في خلالها وبلاش أشرس حرب في تاريخ الوجود البشري .

في هذا الفصل من كتاب ( الحرب والسلام ) يعالج تولستوي الأسباب التي تفضي إلى الحوادث التاريخية عامة ، والتي بعثت الحرب بين روسيا وفرنسا خاصة . وفيه يحاول دحض عقيدة رسخها علم التاريخ وطبعها في الأذهان ، ودعم حقيقة خطيرة تبدو لأول وهلة غريبة ، وهي أن الرجال الذين ، في أيديهم مقاليد السياسة والإدارة والحكم إنما هو في الواقع عبید التاريخ ، يستخدمهم ويستثمرهم كالأدوات الصم لبلوغ أهدافه المقررة من قبل فلا يستطيع هؤلاء الحكام والقواد مقاومة في ذلك ، لأنها أهداف مقضي بها منذ الأزل فلا معدى لهم عن الاندفاع والجري مع تياره الجارف والرضوخ لحركته واتجاهه .

يقف فيلسوفنا من الحملة الفرنسية مندهشاً حائراً معقود اللسان ، لا يدري كيف يعلل أسباب هذه الظاهرة العظيمة . ألوف بل ملايين من الناس في غربى أوروبا يشعرون في التجمع والاحتشاد منذ سنة ١٨١١ ويأخذون في الزحف صوب الشرق ويممنون في ذلك فينخطون الحدود الروسية ويكادون لا يقفون إلا في موسكو . لكنهم ما يلبثون أن يعودوا القهقري ويرجعوا من حيث جاءوا حاملين في أيديهم بذور الخيبة والهزيمة المنكرة . يقابل ذلك ملايين أخرى تتأهب في الشرق لمجابهة أولئك ، فتندفع من أواصر روسيا ميمنة شطر الغرب ، وفي ١٢ حزيران ١٨١٢ تلتقي هاتان الموجتان الصاخبتان من بني الإنسان ، فيكون ذلك نذير وقوع حرب لم يعرف لها التاريخ من قبل نظيراً . هذا الاضطراب بين الملايين يراه تولستوي في ظاهره منافياً للعقل ومخالفاً لقوانين الطبيعة البشرية . فلا



جرم إن وقف حائراً يبحث عن العلل الحقيقية التي أدت إليه .

فيستعرض الآراء التي يبدئها الناس في بواحي تلك الحرب ، فيرى أن المؤرخ يعزو وقوعها إلى الإهانة التي ألحقها نابليون بالدوق أولدنبرج<sup>(١)</sup> ، وإلى عدم مؤازرة قيصر روسيا في انجراح الحصار الذي فرضه نابليون على بريطانيا ، وإلى طموح نابليون الشخصي أو ثبات قيصر وصلابة عوده ومثابته مركزه ، وإلى أغلاط الرجال الذين يدرون دفة السياسة في أوروبا . ويقول تولستوي إذا كان أحد هذه الأسباب التي يسردها المؤرخ أم كلها مجتمعة ، هو ما أثار تلك الحرب ، فقد كان بالإمكان الحيلولة دونها بشكل ما ، كان يحسن مثلاً كل من أولئك الساسة النية والتصرف ويخلص في جهوده لتوطيد السلم ، فيسمعون جميعاً إلى الاتفاق على نصوص للمعاهدات مما قد يؤول إلى حسم أسباب النزاع واحتثان الشر من أصوله . أو أن يخطط نابليون إلى الكسندر رسالة تنم عن روح المودة الصادقة وللصفاء الخالص ، مُعرباً فيها عن رضاه بإعادة دوقية أولدنبرج إلى صاحبها في الأصل ، إلى غير ذلك من السبل التي تسطر والجهد التي تبذل للحيلولة دون وقوع الشر أو تفاقمه . ذلك ما يذهب إليه المؤرخ . أما نابليون فيرى أنه لم يكن ثمة بد من الصدام مع روسيا بسبب نشاط الدبلوماسية البريطانية ودسائسها الشيطانية ( كما صرّح في جزيرة القديسة هيلانة ) . ثم من البديهي أن يرى أعضاء البرلمان الإنجليزي طموح نابليون ونزعه الجشعة للسيطرة وحبه للسلطان ، سبباً آخر وجيهاً . وأن يعدّ صاحبنا الدوق أولدنبرج في دوره ملحقه من إهانة ، الباعث الحقيقي والمباشر لها . وأن يرى رجال الأعمال في أوروبا سببها في النظام القاري الصارم الذي فرضه نابليون على أوروبا وذلك بحظر المتاجرة مع بريطانيا ، مما سبب ضجراً وكدرًا وتدهوراً إقتصادياً خطيراً في أوروبا وكذلك في روسيا . أما القواد العسكريون وغيرهم من رجال الجيش فيؤكدون أنه لم يكن مناص من حرب تقع لتشغل ألاف العاطلين منهم ، بينما يرى الساسة في ذلك العصر أنها نجمت عن اخفاقهم في إخفائهم عن نابليون إخفاء تاماً بنود تلك المعاهدة السرية المعقودة بين روسيا والنمسا سنة ١٨٠٩ . زد إلى ذلك الصيغة الحادة والاصلوب الجاف الذي به خطّ الإنذار رقم ١٧٨ . ومن البديهي أن تبدو هذه الأسباب وعشرات مثلها وجبهة معقولة لدى أهل ذلك العصر حسباً يترأى لكل منهم ، ومن الزاوية التي ينظر منها إلى حوادث التاريخ المعاصر ، أما

( ١ ) هي دوقية أولدنبرج في ألمانيا انزعها نابليون سنة ١٨١٠ من صاحبها بطرس فردريك أسقف لوباك . وقد أبى أن يبادلها نابليون بمقاطعة أرفرت ( Erfurt ) فأرغم على الفرار والاتحاق بالهفاء ضد نابليون بيد أنها عادت إليه في مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ مع مقاطعة بكنفيلد Bukenfild بمؤازرة قيصر روسيا ( الموسوعة البريطانية )



نحن أهل هذا الزمان ، فما موقفنا منها ؟ أحرّ بنا أن نراها عقيمة تافهة لا وزن لها ولا خطر ، فلا تنفع الباحث المفكر منا أو تنقع غلته . ذلك لأن المعاصرين لتلك الأحداث التاريخية العظيمة لم يكونوا في الواقع يفترون من الحشر غير الأشجار على حدّ التعبير الانجليزي في حين أننا ، بسبب البعد الزمني نكاد نبصر الحشر بكامله .

ويعالج تولستوي جميع هذه الأسباب مبيناً صعوبة بل استحالة الأخذ بها رغم زعمه بأنه ليس بالمؤرخ المحقق . ويعتقد أن كل سبب ظاهر للحملة الفرنسية قد يبدو بمحد ذاته معقولاً مقبولاً ، بيد أنه ليس كذلك حين ينقاس بمخطورة الحوادث المنبثقة عنه . إذ لا يعقل أن يبلغ سبب واحد حدّاً كبيراً من القوة والتأثير بحيث يجلب على العالم الاوربي أحداثاً خطيرة كهتلك . لهذا يؤكد تولستوي أن تكون هناك أسباب أخرى عديدة عمات جميعها يداً واحدة وتساندت وتآزرت . وربما سلكت في بدء الأمر سبلاً شتى ، إلا أنها لم يكن لها مناص من الالتقاء أخيراً في طريق واحد ، والتضافر والسعي نحو تحقيق هدف واحد هو ذلك النزاع والاصطراع الذي أمسى وقوعه محتملاً . ويخيّل لتولستوي أن رغبة جندي واحد في القتال أو عنه لسبب يبلغ من الوجاهة والمخطورة والتأثير حدّاً لا يقل عما بلغه رفض نابليون سحب قواته عبر نهر الفستولا ، نزولاً على طاب الكسندر كشرط أصامي لوقف القتال . بل أنه لا يقل قيمة وخطراً عن رفض نابليون إعادة دوقية أولدنبرج لصاحبها إذ لو أبى جندي واحد الانخراط في ملك الخدمة العسكرية أو عدم المضي في العمل في أحد أدوارها وفعل ذلك ثانٍ وثالث وغيرهم لآدى ذلك إلى نقص في عدد رجال الجيش وبالتالي إلى عدم اقدام أحد المعسكرين على المجازفة بقبول الحرب ، أو استئناسها في أحد مراحلها بأية حال .

فقد كان من اليسير تجنب هذه الحرب على هذا الأساس من التعليل الخاطئ لو لم ير نابليون تحدياً وإساءة في طلب القيصر سحب قواته وراء الفستولا . فبأمر جنوده بالمجهرم لمحو تلك الإساءة . وكان هيناً أن يُحال دون وقوعها لو رفض الضباط والجنود العمل في إحدى مراحل الخدمة العسكرية . والحرب ما كانت لتقع قط لو أحبط نشاط الدبلوماسية البريطانية كما زعم نابليون ، أو لو أنه لم يكن في الوجود رجل اسمه الدوق أولدنبرج ، أو لو أن الكسندر لم يغضب لكرامته بسبب امتهان نابليون له كما يدّعي ، أو لولا أنه لم يقيم في روسيا آنئذ حكمٌ فردي مطلق ، أو لولا اندلاع لهيب الثورة الفرنسية من قبل ، وما تلا ذلك من قيام دكتاتور وامبراطورية ، أو لولا جميع الظروف والأحوال التي أدّت إلى تأزّم الوضع السيامي بسبب الحالة الاقتصادية والاجتماعية مما أفضى إلى الثورة



الفرنسية . والواضح ان ليس ثمة سبب واحد من هذه الاسباب التي يذكرها . الناس إلا  
أمكن معالجته بمفرده والحيلولة بواسطته دون وقوع الحرب . ولكن الحقيقة التي لا ريب  
فيها انه لم يكن له سبب واحد أو عشرة ، وإنما هذه الاسباب كلها وألوف غيرها من المنظورة  
وغير المنظورة الظاهرة والباطنة ، جميعها عملت معاً وسلكت سبيلاً واحدة ، فأنتجت تلك  
الحرب وتلك الحملة الهائلة التي ما يزال يتردد صداها في نفوس الناس وعقولهم في أوروبا وفي  
آسيا كذلك .

وقد يتوهم المرء ان وقوع الحرب الروسية — الفرنسية كان متوقفاً على ارادة القيصر  
أو الامبراطور وحدهما لا غير . والحقيقة انه كان يتوقف على ارادة ملايين البشر الذين في  
يديم منفردين ومجتمعين السلطة الحقيقية والتأثير البعيد كالجنود الذين رضوا لانفسهم ان  
تقدم على مذبج المريح ، والرجال الذين رافقوا الجيش وأمدوه بالثمن والمعدات الكافية ،  
والعمال الذين صنعوا له كل لوازمه وهياؤوا حاجاته ، والمدنيين الذين دعموه وعضدوه  
بمؤازرتهم الأدبية والمادية ، ومئات الألوف غيرهم بما لكل منهم من تأثير مباشر أو غير  
مباشر في سير تلك الحرب في روسيا وفي فرنسا بل في جميع أوروبا .

وما دام الأمر على هذه الشاكلة ، فلا محيص من الرجوع إلى القدرية كعقيدة أساسية  
يستند اليها في تحليل أسباب تلك الحرب بل كل حرب في التاريخ لا يستطيع العقل احصاء  
أسبابها . إذ كلما حاولنا رد تلك الحرب إلى بواعثها الحقيقية وقصدنا تحليلها إلى عواملها  
بشكل منطقي كلما لاحت لنا بعيدة عن العقل خارجة على قواعد المنطق ، أو تبدت كأن ليس  
من سبب ظاهر لها نفهمه ونقبله ونبرره .

ويقول تولستوي شارحاً القدرية ان لكل امرئ في الحياة مطلق الارادة وملء الحرية  
في تعيين أهدافه الشخصية والسعي كيفما أراد إلى بلوغ تلك الأهداف فيأتي من الأفعال ما  
قد يقر به من تحقيقها ، ويمرض عما يقصيه عنها . والواقع انه حالما يصدر عنه عمل ما  
خطير أو قول له قيمة ، فانه في تلك اللحظة ذاتها يفلت من يده ويخرج من نطاق سلطته  
وسيطرته ، بحيث لا يستطيع استرجاعه ، فيدخل في نطاق الماضي أو بعبارة أخرى في نطاق  
التاريخ ويصبح لذلك القول بعد الافضاء به أو للعمل بعد أتيانه تلك الخطورة الاجتماعية  
والأهمية المقدرة المحتومة والمقيدة المحدودة . من هذا نستنتج ان حياة الانسان مظهرين  
مختلفين ، مظهر الفرد وهو ما يتعلق بحياته الفردية المستقلة ، التي كلما انطلقت وتجردت في  
مهامها وأمورها وأعمالها تحررت وأبت التقيد بقاعدة أو الارتباط بقيد . ثم مظهر  
العضو ، وهذا يتعلق بالحياة الاجتماعية العنصرية . وفيه يرى المرء نفسه مكرهاً عليها



رضوخاً لقوانين شرعت وقواعد وتقاليد فُرِضت ووُضعت ، وليس من سبيل الى التحرر منها . فالإنسان في المظهر الأول يكاد يعيش حياته لنفسه ، وفي سبيل تحقيق أهدافه الفردية واعياً مستقلاً إذا أحب . ولكنه يبدو في المظهر الثاني كأنه العوبة في يد غيره ، أو كأنه آلة تعمل دون فهم أو وعي في سبيل تحقيق أهداف تاريخية كونية تتعلق بمجتمعه الخاص أو بالإنسانية جمعاء .

\*\*\*

وهنا نرى كيف يدخل عامل الصدفة في المظهر الاجتماعي من حياة الإنسان ، فقد تقع حوادث وتجيء أعمال ملايين من الناس في حين واحد ، فتدخل جميعها في نطاق الماضي الذي هو التاريخ ، وتسبب كلها بمجموعها قوة هائلة لها تلك الأهمية والفعلية التاريخية وكلما مما المرء منصباً وارتقى في سلم الحياة السياسية أو الاجتماعية ، كثر الناس الذين يحيطون به ويلتفون حوله ، وكلما ارتفعت مكانته وتضاعفت سلطته انضح لنا بجلاء انه خاضع لسلطة القضاء في جميع ما يصدر عنه من أقوال أو أعمال لها علاقة بالمجتمع أو بغيره من الناس ، ليس له أدنى نصيب من القوة والارادة الحرة المستقلة في ذلك .

إن قلب الملك في يد الله ، والملك هو عبد التاريخ ، والتاريخ الذي هو الحياة الاجتماعية العامة غير المدركة أو الواعية انما يستغل كل لحظة من حياة الملك ويستخدمها في سبيل تحقيق أغراضه التي لا تدرك ولا ترى ، فمع أن نابليون يعتقد اعتقاداً جازماً بأن عليه وحده كان يتوقف مصير كل ما يجري حوله من أحداث سياسية وأعمال عسكرية ، وانه وحده مسؤول عن صفك دماء الملايين من الأبرياء ( كما عبر ذلك قيصر روسيا في رسالة بعث بها الى نابليون ) إلا أن تولستوي يعتقد جازماً بأن نابليون لم يكن في حين ما أكثر من ذاك مستعبداً لمشية القضاء ، مكرهاً على طاعته ، يسيره القدر ويوجهه أنى شاء ، وكيفما شاء ، ويسوقه رغم أنفه ، مع ظن نابليون بأنه يعمل وفق ارادته الشخصية ، الى السير في سبيل واحد مع مجموعة المظاهر الاجتماعية لحياة الأفراد الذين يمثلون شتى الأدوار على مسرح الحياة .

لقد زحف أهل الغرب نحو الشرق في حركة خطيرة الشأن مستهدفين تقتيل اخوان لهم من بني الإنسان . فنقف من هذه الظاهرة مندهشين باهتين ، نبحث عن الأسباب التي أدت الى مثل هذا الشر الاجتماعي . فيجيب تولستوي بأن ألوفاً من الحوادث الدقيقة جاءت صدفة في حين واحد ، ووقعت في الوقت الملائم ، وانتظمت كما في عقد لأحداث تلك الحركة الشريرة الأخيرة . فسخط نابليون على روسيا لخروجها على قواعد النظام القاري ، وما حل



بالدوق اولدنبيرج من اهانة وسوء ، وكذلك زحف نابليون على روسيا للحصول على سلم مسلح كما خيل له ، ثم زعة نابليون الحربية كلها تجيء في وقت يمتلج فيه . في صدور أبناء فرنسا ميل للحرب ورغبة في القتال . وانبهار المدنيين منهم بعظمة الاستعداد الحربي ، وطمع الكثيرين منهم في غنائم وأصلاب تعوض عليهم ما انفقوه في سبيل ذلك الاستعداد . هذا مع ما لاقاه نابليون من تكريم خلفائه ملكي بروسيا وسكسونيا وأمبراطور النمسا له في درسدن واحتفائهم به طيلة شهر ، مما زاد في عجرفته وزهوه وخيالاته وغذى زعته العسكرية وقواها . وكذلك المفاوضات الدبلوماسية التي عقدها الساسة للوصول الى سلم شامل دائم ، فأعقب وعد كل منهم بالتضحية في سبيل ذلك مساً بكرامة الدولة التي يمثلها وجرحاً لكبريائها . هذه وملايين من الأسباب تهيأت واجتمعت حسب قانون المصادفة وتكيفت على غرار أدى الى تلك الحرب الكاسحة .

حين تنضج التفاحة على الشجرة وتسقط ، نسأل مما سبب ذلك السقوط . هل هو جاذبية الأرض ، أم ما أصاب صافقها من يبس وجفاف ، أم الشمس التي صاعدت في انضاجها ، أم الريح ، أم لأنها أضحت ثقيلة لا قبل للغصن بها ولا طاقة له على حملها ، أم لأن هنالك صيداً واقفاً ، يرنو اليها عن بعد ، وكل جارحة في نفسه تدعو لها بالسقوط . الواقع أن لا واحد من هذه هو السبب الوحيد بمفرده بل ان تصادف مجيء الظروف ووقوع الحوادث والتفاعلات العضوية والعنصرية في حين واحد هو ما أدى الى ذلك السقوط فكما أن العالم النباتي يعزو سقوط التفاحة إلى تحليله العلمي ، فكذلك يزعم صبينا بأنه انما ناشئ عن دعواته الحارة .

\*\*\*

ليس الملوك والقواد والساسة العظام الا عناوين لعصورهم وأزمانهم وأسماء لحوادث التاريخ التي تقع في عهودهم . ولا تزيد أصلة بينهم وبين تلك الأحداث والعصور عن تلك التي بين العلاج في القارورة وبين الايضاح الملصق عليها من الخارج . بل لا تعتمد قوتهم وسيطرتهم على الحوادث ، وتوجيه سير التاريخ قوة طفل يعدو به الحصان مسرعاً فلا يملك من القوة ما يمكنه من كبح جماح ذلك الحصان وضبطه واخضاعه .

فالتاريخ جارٍ على الدوام بقوة دافقة نحو الامام . والفرد بل الملك أو القائد أو السياسي لا يستطيع صد هذه الحركة أو توجيهها . بل انه في كل ما يصدر عنه من أفعال أو أقوال انما يفعل ذلك خاضعاً مندفعاً مع تيار التاريخ الغلاب في سبيل معين نحو هدف مقدر محتوم كما أسلفنا ، ومقضي به منذ الأزل .



## سير التاريخ

بسطنا فيما مرّ رأي تولستوي في تحليل الحوادث التاريخية ، وملخصه أن من نحسبهم رجال التاريخ هم في الواقع عبيد التاريخ الأرقاء ، لا يمكن أن يكون القوة التي بها يضبطون حوادث التاريخ ويخضعونها لأرادتهم ويوجهونها وفق مشيئتهم . وفي ما يلي سوف أراجع فعلاً عقده فيلسوفنا في سير التاريخ الدائم وحركته المستمرة .

فتولستوي يرثي للعقل البشري لعجزه عن إدراك هذا الاستمرار الدائم المطلق لحركة التاريخ ، أو معرفة القوانين التي يخضع لها كل عنصر من عناصر الحركة منفصلاً عن الآخر غير حاسب أنه من جراء هذه التجزئة المصطنعة سوف يقع في هوّة حقيقة من الحيرة والارتباك والخطأ الكبير . ويستعين تولستوي على توضيح رأيه بالأسطورة اليونانية المعروفة التي شغلت أذهان الأقدمين وبلغت عقولهم مدة من الزمن أعني بها أسطورة ( أخيل والسلحفاة ) . وأخالك تذكر أن أخيل لم يستطع إدراك السلحفاة رغم محاولته اللحاق بها ، ذلك لأنه كان يسير بمعدل من السرعة يعدل عشرة أمثال تلك . فكما قطع أخيل المسافة بينه وبين السلحفاة ، وجدها قطعت عشرة المسافة أمامه . وحين تقطع ذلك العشر تصبح على بعد واحد من مئة عنه . وهكذا دواليك مما يدل ظاهراً على استحالة إدراكها ، وقد غرّب عن بال الأقدمين وهم يتدارسون هذه المسألة ويبحثون عن حل لها ، أنهم قد ضلوا سبيل الهدى مذ جزأوا المسافة كلها إلى أجزاء منفصلة بينما حركة أخيل والسلحفاة معاً استمرار واحد منطلق لا سبيل إلى تجزئته . وقد تقرب من حل لهذه المشكلة التي تبدو مضللة بتقسيم الحركة إلى عناصر متناهية الدقة والصغر . بيد أننا لن نصل إلى حل تام بغير جمع حدود المتوالية الهندسية اللانهائية الناجمة عن تجزئة الحركة إلى فترات يرتبط بعضها ببعض بنسبة واحد على عشرة ، التي هي نسبة سرعة السلحفاة إلى سرعة أخيل .

وتولستوي لا يقسو في حكمه على الأقدمين لعجزهم عن فهم ما تنطوي عليه هذه الأسطورة من مغالطة ومنسطة ، ذلك أنهم لم يكونوا يلمسون بهذا الفرع من الرياضيات العالية الذي يسهل عليهم الوصول إلى حلّ يروي الغليل ويرضي العقل . وإننا حين نبحث عن القوانين التي تسير التاريخ وتوجه حركته ، إنما نقترف مثل ذلك الخطأ الذي وقع



الآقدمون بسبب معالجتهم عناصر عديدة مختلفة للحركة بدلاً من وحدة تامة مستمرة . فحركة التاريخ الناشئة المتكوّن من مجموعة من الإرادات والرغائب البشرية العديدة ليست إلا حركة دائمة السير لا انقطاع لها ولا انفصال بين الأجزاء والعناصر التي تتألف منها .

وعلم التاريخ يسعى جاهداً إلى معرفة هذه القوانين التي تضبط حوادث التاريخ وتوجه سيره . وهي كذلك الهدف الاسمي لعلماء التاريخ في جميع دراستهم وجهودهم الفكرية العنيفة . بيد أنهم يستسهلون تجزئة الحركة ، حتى يعالجونها ، إلى وحدات منفصلة فيقعون بسبب ذلك في حيرة ويضلّون صيبل الرشاد .

وأول نهج يختاره علم التاريخ ويسلكه لتحقيق هذا الهدف يكون باختيار سلسلة من الحوادث المستمرة يفحصها علماءه ويدرسونها ، إحداها منفصلة عن الأخرى . مع العلم أن ليس هنالك نقطة ابتداء واضحة معينة لأي حادث تاريخي . ذلك لأن كل حادث يتسبب عن آخر سابق له ، وينبعث منه ، ويتولد عنه . وعملية الانبثاق والتوليد هذه في استمرار دائم مع الزمان في سيره .

وأما النهج الثاني لعلم التاريخ في صعيه لمعرفة القوانين التي تضبط سير التاريخ فذلك بأن يقع اختيار علمائه على أقوال فرد واحد وأعماله لتتخذ موضوعاً للدرس والبحث والتنقيب ، مفترضين أن الافعال والأقوال الصادرة عن فرد واحد تساوي مجموعة إرادات أفراد عديدين أو مشيئة أمة بكاملها . بينما من الواضح أنه لا يمكن لشخصية تاريخية واحدة بالغة ما بلغت من العظمة أن تجمع في ذاتها رغائب ومشيئات كثيرة . وكلا السبيلين لا يفضيان بعلم التاريخ إلى بلوغ هدفه الاسمي ، لانه في كلا الحالتين يختار وحدات صغيرة للفحص والتدقيق . ومهما كانت درجة أهمية الحوادث التاريخية ، فإن دراسة كل واحدة منها منفصلة عن الأخرى ، أو الظن بوجود نقطة ابتداء معينة لكل حادث تاريخي ، أو الزعم بأن إرادة أمة بكاملها يستطيع فرد واحد أن يعبر عنها تعبيراً صادقاً هو خطأ فاضح وخطأ في الرأي وضلال ، بل أنه مضیعة للجهود والوقت الذين ينفقهما الباحث في هذا السبيل . فالحس عشرة سنة الأولى من القرن التاسع عشر شهدت في أوروبا ملايين من الناس يهرعون صُبل عيشتهم ويهربون من طرف أوروبا الغربي إلى الآخر الشرقي ، فيقتاتلون



وينتاهبون ، فيفوز أحد الفريقين تارة وينخذل أخرى ، ويمسون جميعاً فرأى الضجر والكدر واليأس والجزع . ولعدة سنين تحال وجه الحياة ونظامها قد تغير بسبب هذه الحركة التي تنشط في بدء الأمر ، ثم تتباطأ وتخمد وتتلاشى كأنها لم تكن . فيسأل العقل عن الباعث لذلك وعن القوانين الضابطة لهذه الحركة العنيفة الهائلة ، فيذكر التاريخ جواباً على ذلك أفعال وأقوال تهر من الناس اجتمعوا في أحد بيوت باريس مسمياً تلك الأقوال والأفعال ( الثورة الفرنسية ) . ثم يتجاوز ذلك إلى سرد ترجمة ضافية لحياة نابليون ولسكل من خصومه وأعدائه ، شارحاً مدى تأثير الواحد منهم في الآخر ، وفي الأحداث المعاصرة لهم جميعاً ، مؤملاً إنك في ذلك سوف تجد الحافز الأكيد لتلك الحركة الزاخرة ، وإن تكتشف القوانين التي تضبطها وتسيّرهما والعقل لا يرد هذا التعليل ردّاً أو يرفضه بكامله رفضاً خصباً ، وإنما يتعداه إلى التنديد بهذه الطريقة العقيمة من البحث والتعليل الذي يناطوي على كذب وتمحك وخداع ، ذلك لأنها تبرهن على وقوع حادث قوي عنيف من جراء حافز ضئيل ضعيف . فالواقع أن قيام الثورة الفرنسية ، وظهور نابليون قد نبجا عن مجموعة من الإرادات الفردية التي أدت للثورة ولنابليون بالظهور في عالم الوجود التاريخي ، والجري مع الأحداث المندفعة في حركة دائمة ، وتساهلت في قبولها في أول الأمر ، بيد إنها حادت ونبتتهما ، وقضت على الثاني منهما قضاءً مبرماً ، لأنهما لم يعودا يعاينان خدمة التاريخ وتحقيق أهدافه في ظروفه المتبدلة والتاريخ في ذلك شأن لا نعرفه ، وهدف يسعى لتحقيقه بجهل كل الجبل . وله فوق ذلك ارادةً حديدية لا تخضع لسلطان الفرد مهما بدا في حين ما عظيماً في أعين الناس . ويزعم التاريخ أنه مع كل فتح لا بد من فاتح ، وفي كل ثورة لا بد من رجال يضرمون أوارها . فيجيب العقل هائلاً ساخراً ، ولكن أيس ثمة ما يدل على أن الفاتح أو الثائر هما سبب الفتح والثورة ، ذلك لأن قواعد الحرب أو الثورة لا يمكن أن تتركز في مجهود فرد واحد ونقاطه . ومثل علم التاريخ في تحليله هذا وأسلوب بحثه كمثل من ينظر إلى الساعة فيرى عقاربها تشير إلى العاشرة ، فيسمع عندها أجراس الكنيسة تقرر ، فيظن بل يجوز أن قرع الأجراس سببه وصول العقارب إلى العاشرة . كأن هناك آصرة أو علاقة وثيقة بين حركة العقارب والوضع الذي تتخذه ، وبين قرع الأجراس . أو كمثل القطار تراه



يهم بالسيف فتسمع أنثى صفارة الايدان بالسفر تدوي ، والصمامات تفتح والدواب  
تتحرك ، فتظن أن هذا الصغير وانفتاح الصمامات وتحرك الدواب هو علة حركة القاطرة  
وسببها الحقيقي . ومثل هذا أيضاً اعتقاد الفلاحين في روسيا بأن هبوب الرياح الباردة في  
أواخر فصل الربيع قد نتج عن ظهور براعم الزهر على شجر البلوط . ومع أننا نجمل السبب  
الذي حدا إلى مجيء الرياح وظهور البراعم في حين واحد فليس ثمة ما يدل على أن هبوب الرياح  
ناشئ عن هذه البراعم . إذ كيف يصح ذلك ما دامت الريح على حظ وافر من القوة  
والشدة بحيث لا يؤثر فيها ظهور البراعم الصغيرة اللطيفة .

اننا في جميع هذه الأحوال إنما نرى حظ المصادفة في وقوع الحوادث ، كالذي يجري في جميع  
نواحي الحياة ليس أكثر . ومهما أنعمت النظر في عقارب الساعة وتفتحت صمامات القطار  
ودوابه وشجر البلوط وبراعم زهره ، وبالغت في الملاحظة والدرس ، فانك لن تعرف السبب  
الحقيقي لقرع الأجراس وتحرك القطار وهبوب الرياح في أواخر فصل الربيع عن هذا  
الطريق . وما عليك لكي تتوصل إلى معرفة ذلك إلا أن تبدل وجهة نظرك بالكلية ،  
وان تنهج نهجاً آخر في الدرس والتمحيص ، فتحاول معالجة القوانين التي تضبط حركة  
البخار وقرع الأجراس وهبوب الرياح وتقيدها وتسيرها .

ولكي تنكشف لك القوانين التي تضبط التاريخ وتسيطر على حوادثه وتوجه حركته  
لا بد لك أيضاً من تبديل موضوع الملاحظة وحقل الدرس واتجاهه تبديلاً تاماً ، وانتهاج  
سبيل آخر للوصول إلى الحقيقة . وذلك بأن تدع الملوك والوزراء والقواد جانباً ، وان  
تلتفت إلى العناصر الدقيقة العامة والعوامل المؤثرة التي تحفز الشعوب وتحرك الجماهير فانها  
هي التي تصنع التاريخ ان لم تكن التاريخ نفسه .

ومع أن مدى التقدم في الوصول إلى فهم قوانين التاريخ عن هذا السبيل لا يزال  
غامضاً محدوداً لا يبعث على الرضى والارتياح ، إلا أن اثنين لا يختلفان في أنه السبيل  
الأوحد المفضي إلى هذه الغاية النبيلة وان جهود المؤرخين في هذا المضمار لمن القلة والضالة  
والضعف ، بحيث لا تقاس بجهودم الجبارة في وصف وتفصيل وتحليل أعمال القواد والوزراء  
 والملوك ، والانهاء من ذلك كله إلى نتائج وهمية خيالية لا يرضى بها العقل .



## ظَلَّان

أنا ظَلَّانُ فهاهنا من كؤوسٍ مُتَرَعَاتِ  
 خمرها للروح بَمَثْ من حياةٍ كَلِمَاتِ  
 لا تُلْصِقْنِي فِي هَوَاهَا أَنَا عَبْدٌ لِّلسَّقَاتِ  
 والمِدامِ المَصْرَفِ دِينِي لَا أَبَالِي بِالنَّشْهَاتِ  
 جَفَّ كَأْسِي أَيُّهَا السَّاقِي فَأَسْرِعْ بِالْحَيَاةِ...  
 أَنَا رُوحٌ مُسْتَطَارٌّ عَذَّبْتَنِي لَهْفَاتِي  
 مِثْلَهَا شَبَّ ضَرَامِ النَّارِ شَبَّتْ حُرْقَاتِي  
 أَضْرَمْتَ مِنِّي كِيَانِي وَصَرْتَ فِي خَطَرَاتِي..  
 مَا أَرَى؟ هَذَا شَهَابٌ هَائِمٌ فِي الظُّلُمَاتِ  
 يَذَرُ الْكَوَانَ وَثَبًّا حَائِرًا فِي الْفَلَوَاتِ  
 أَتُرَاهُ يَطْلُبُ الْمُسْكِينَ سِرًّا لَا يَوَاتِي؟  
 أَمْ تُرَاهُ حَاشِقًا تِلْكَ النُّجُومِ الْخَالِمَاتِ؟  
 أَمْ تُرَاهُ جُنًّا مُهَوِّقًا بِالْبُدُورِ الْبَاسِفَاتِ؟  
 إِنَّهُ رُوحِي لَا يَهْدَأُ أَوْ يَرْتِي شِكَايَ...

\*\*\*

أنا ظَلَّانُ فهاهنا من كؤوسٍ مُتَرَعَاتِ  
 يَنْدِي بِكَ دَفْقًا بِقَتِيلِ الْفَنَاتِ



وصريع الحَدَقَاتِ والجفون الساجيات  
والكؤوس العافيات قاتلاني مُحَنِيَّيَاتِي  
ملهماتي صلواتي !

أنا ظمان فمات من كؤوس مُسْتَرْمَاتِ  
كلما دار يميناً أو شمالاً قلت : مات  
استقنيها من صُلافٍ أَطْلَقْتَنِي من حياتي  
فإذا بي كهلبيق البرق ضجّت ومضاتي  
وإذا بي كخفي السحر لاحت معجراتي  
وإذا بي كأنين المَجْجُو بُحَّتْ عبراتي  
أو كلحنِ مُوثِقِ الأنسات دامي الثبرات ... !  
أيها الساقى أما تسامع ما فاضت هسكاتي ؟  
ها أراك الآن عني سادراً في غفوات  
كلهم باتوا سُكَّارِي ما لِسْكَاسِي لم تُنَوَاتِ ؟  
ويح نفسي .. اضمّ صاقي فجنّت أمنيّاتي  
وجفاني في فضاء الكون تدوي صرخاتي  
تنهش الأشواق روحي تأكل الآلام ذاتي  
فاتركوني في لظى الحرمان أهْدُو أغنيّاتي  
هي كنزي وحيّاتي هي خري وسقّاتي ...

محمد فسرهي

القاهرة

كان أ  
في خدمة  
رعيته لا  
جامعها جري  
وطبائعه  
كعبة الأ  
وأضفى ع  
والاداريين  
هؤلاء يحق  
أمارته متف  
الثانية والع  
ولم يك  
منه منبتاً  
واشدّ صل  
كل صغيرة  
في وجهه  
عما إذا كان  
مارتزو  
ملاذه وتم  
الواجب .



## القدر

تأليف ج . سـ

كان أليسيوس ابن رجل من عامة الشعب استطاع بحده أن يرقى الى وظيفة مرموقة في خدمة إحدى الشركات واستطاع أن يعلم ابنه تعليماً طيباً . وأبدى الابن قدرة رهيبة لأن يصبح أحد رجال الامير العسكريين . وكان شاباً موفور الشباب قوي العاطفة جامعاً جريئاً ، وكذلك كان الامير الذي وجهه نظره الى الشاب مشاركته اياه في ظروفه وطبائعه ، وسرّه منه سرعة بديهته وجاذبيته وخفة روحه وسعة معارفه التي جعلت منه كعبة الأبصار ، وموضع التقدير في كل اجتماع ، وشاء أن يستفيد من خدماته ، وقرّبه اليه وأضفى عليه من رعايته وثقته ، فأوصله الى درجة لم يكن يحلم بها المحنكون من الساسة والاداريين الذين قضوا حياتهم الا قليلاً في الرقي البطيء خطوة خطوة ، حتى أصبح هؤلاء يحقدون عليه وينفسون عليه مكانته . إذ وكل اليه الامير أمر تصريف شؤون أمارته متفرغاً هو لملاذته وملاهيته ، وأنعم عليه بلبق الوزارة ، رغم أنه كان شاباً لم يجاوز الثانية والعشرين من عمره .

ولم يكن الشاب ذا تجارب في الحياة ، وكان رقيقاً سريعاً ، فما رأى الامراء وهم أعلا منه منبتاً ، وأشرف منشا ، يتسابقون الى ارضائه ما وسعهم التسابق ، حتى استيقظت كبرياؤه ، واشتد صلفه ، وتعددت مظالمه ، فكثير أعداؤه ، وكانوا أقوياء دهاءاً محنكين ، يرقبون كل صغيرة وكبيرة يأثمها يحصونها عليه لتكون سلاحاً في أيديهم اذا دعا الامر يشمرونه في وجهه ويقضون به عليه ، لا سيما وأنه كان يختار معاونيه وأحباءه وأصدقاءه دون تحرر عما اذا كانوا أهلاً لذلك ، بل كان يختار لساعته حيناً اتفق . فثلاً اختار الكونت جوزيف مارتزو الايطالي ليكون في حاشية الامير ليؤدي عنه واجبه في ارضاء ممو الامير وتوفير ملاذته وتحقيق ملاهيته . لأن اليسيوس كان قد شغلته مهام الامارة عن أن يقوم بذلك الواجب .



ولم يكن الوزير ليخشى هذا الكونت وهو يعلم انه هو الذي رفعه الى تلك المكانة ،  
وانه هو الذي أحسن اليه . وأخذ الكونت يتقرب الى الأمير تقرباً أدناه من قلبه ومن  
نفسه ، وجعله يرى فيه ضرورة لحياته ليس له عنها غنى فزادت أهميته . ولكنه كان دائماً  
يظهر الخضوع للوزير ، عاملاً على ألا يثير شبهته أو تمكوكه في مقدار اخلاصه له ، وتقانيه  
في تقدير جميله عنده . ولم يترك فرصة تمر دون أن يغتنمها في الفوز بتقدير الامير ولو كان  
ذلك على حساب كرامته ورجولته ودينه ، إذ كان في سبيل ارضاء صموه يشاركه آثامه وفجوره  
في سهولة ويسر ، كأنما قد نشأ وهو كونت في مباءة فسق . وكان موفقاً في إخفاء مغامرات  
صيده وطمس معالمها . وكان هو الرجل الوحيد المطلع على أسرار الأمير . وعندئذ بدأ  
يعمل لنفسه على حساب هذا الأمير الذي أصبح في يده ليصرفه كيف يشاء . كل هذا  
والوزير لا يدري شيئاً عن مبلغ ما وصل اليه الكونت من مكانة وسلطان .

وقد يبدو عجيباً أن يصل الكونت الى ما وصل اليه دون أن يعلم الوزير ، ولكن هذا  
كان يستبعد أن يصبح من رفعه بيديه مراحله شديد الخطر عليه . وكان الكونت حريصاً  
كل الحرص على إخفاء خطواته عنه حتى يظل في أمان من انقلابه عليه . وأخيراً علم الوزير  
الامر ، وعلم أن مثل ما حدث هو الذي كان يهوي بمن سبقوه في كرسي الوزارة ، فقلق كل  
القلق ، لا سيما وأنه كان قد اكتفى بما بلغه من نجاح ، فلم يعمل على ابقاء آصرة الود قوية  
تشده الى ركاب الأمير ، بل انشغل بالعمل المجدي عن الامارة ، ولم يعبأ بالابقاء على ما قرأه  
في أول أمره الى الأمير .

ولم يكن الكونت ممن يقنعون بأن يكونوا تابعين أو مقودين . ولقد زادت مطامعه  
بازدياد نفوذه على الأمير ، فثبت من دعائم سلطانه وإثارة كبريائه ، لاسيما عند ما كان الوزير  
يعمد الى امتنانه ليذكره بماضيه وبمن أسدى اليه هذه اليد ، حتى لم يعد يحتمل ما كان يلقاه  
من الوزير ، فصمم على أن يضرب ضربته ودبر الامر سرّاً ، إذ كانت الشجاعة تنقصه لمجابهة  
الوزير بالعداء رغم أنه أصبح في مثل قوته ونفوذه .

\*\*\*

ورأى الكونت الايطالي أن تكون ضربته قوية حاسمة ، وإلا راح هو ضحيتها .  
وساعده الاقدار على الوقوف على سر مؤامرة كان الوزير يدبرها مع بعض الامراء المجاورين  
ضد الأمير الذي أحسن أن الوزير أصبح خائناً لا يؤمن جانبه ، وأصبح واجباً عقابه  
والضرب على يده . واتفق مع الكونت على إجادة تدبير الامر وجمع القرائن ضد الوزير .



وكان الويسوس جاهلاً كل الجهل بما كان يدبر له حتى اللحظة المؤلمة التي هوى فيها من حلق مجده الى الخضم.

\*\*\*

وفي اليوم المعلوم ، وكان يوم عرض طام للقوات العسكرية ، وكان الوزير يشغل مركزاً ممتازاً فيها ، ويعتمد على هذا المركز في تمكين مركزه السياسي ودعم نفوذه الاداري. وكان ذلك المظهر الفخم الذي تبدو فيه كبرياؤه حين يتملقه المتملقون من ذوي الأغراض والحاجات ، وحين يطل من مماء عظمته على أتباعه وأعوانه ممن رفعهم الى المراكز العالية وهم ملتفون حوله كالماله حول القمر . وراه الأمير على النحو الذي ذكرنا فعلم خطورة هذا الوزير عليه بعد إذ صار كوكباً تدور حوله الكواكب . وبينما كان الوزير الأول ينعم بمظهره ومجده ، جاءه الكونوت وقد تغير حاله ، فلم يعد ذلك الوديع الخجول المؤدب مطأطئ الرأس حياء ، بل وقف أمام الوزير وقبعته على رأسه ، وخاطبه في جرأة ، وناداه باسمه المجرى من الاقارب ، وطلب منه أن يسلمه سيفه باسم الأمير ففعل ، وأخذ الكونوت السيف وحطمه وألقى حطامه بين قدميه ، وعندئذ تقدم بعض الضباط الذين جاءوا مع الكونوت من الوزير ونزعوا عنه شاراته وأوسمته . والريشة التي كانت تزين قبعته . ولم يستغرق كل هذا أكثر من لحظة ولم يرتفع صوت معارض واحد ، بل خيم سكوت رهيب ، فوقف الأمراء والنبلاء صامتين ، وقد اصفرت وجوههم ، وزادت ضربات قلوبهم سرعة ، وكانت الدهشة تبدو واضحة على كل وجه . واحتمل الوزير ما حدث له في شجاعة وجلد .

واقف الويسوس خلال صفوف النظارة حتى آخر الميدان حيث كانت تنتظره عربة مغطاة يحرسها فريق من الفرسان ، وانتشر النبا في المدينة انتشار النار في الهشيم ، ففتحت النوافذ ، وأطلت الوجوه على العربة التي كانت تحمل رجلاً هوى من ممات مجده .

وصارت به العربة حتى دار المحاكمة مدى سبع ساعات . وكان وحيداً لا مؤنس له ولا مواسي حتى انحطت قواه المعنوية ، وخارت قواه البدنية ، وغاب عن وعيه . ولما أفاق وجد نفسه في غرفة سجن مظلمة لا ينيرها إلا بضعة أسلاك من نور القمر ، ممحت برورها القضبان المتشابكة في النافذة الوحيدة بالرفة . ووجد الى جواره خبزاً جافاً ، وأبريق ماء ، وبعض القش لينام عليه إذا ما دعاه داعي النعاس . وقبل الامر على علاته حتى ظهر اليوم التالي عند ما فتحت طاقة في سائر غرفته ، ورأى فيها يدين تدلّيان له منقطاً به خبز كافي وجدّه الى جواره في أمسه ، فأحس برغبة في نفسه لتساؤل عما جاء به له هذا المذنب



وأى مصير ينتظره . وسأل ولكنه لم يجب ، بل انسحبت اليدان ، وأغلقت الطاقة ، فعاد الى وحدته المريرة القاتلة التي قضى فيها قرابة خمسمائة يوم . واستطاع أن يعلم أن هذا السجن الذي يضمه بين جدرانها إنما هو من صنعه أمر بإنشائه منذ عهد قريب لينزل فيه أحد الضباط لا لذنوبه إلا أنه كان قد أساء إليه ، وأن هذا الضابط قد أفرج عنه ، بل وصار حاكم السجن .

ولحسن حظه لم يشأ حاكم السجن أن ينتقم منه ، وقد أتى به القدر بين يديه ، مهبض الجناح مسلوب القوة ، بل وساء أن يناط به تعذيب الاسير ، ولكنه لم يشأ أن ينتجى عن أداء ما كلف به نحوه ، لأن النظام العسكري كان يقضي عليه بذلك . إلا أن قلبه كان رحيماً بالرجل فوكل أمره الى أحد مساعديه وهو واعظ السجن . ورأى هذا الواعظ الصالح أن من واجبه أن يخفف آلام السجنين ويواسيه ، وقد قدر عليه أن يحرم كل رحمة . ولكن ادارة السجن لم توافقه على ما ذهب إليه من تفكير ، فقصد العاصمة وقابل الامير وسجد بين يديه . وناشده الرحمة والسماح له بأداء رسالته مع السجنين على النحو الذي رآه إذ أنه أصبح مسئولاً عن نفسه وروحه ، فن واجبه أن يطهرها حتى اذا غادر الرجل الدنيا غادرها وقد عرف سبيل الله . وبعد جهد عنيف مسموح له الأمير بذلك .

\*\*\*

وكان وجه الواعظ أول وجه إنسان رآه الويسوس منذ ستة عشر شهراً وكان بليغاً في التعبير عن مبلغ فرجه وتقديره لجميل ذلك الواعظ صديقه الوحيد بين العالمين . والذي لم تستطع الايام أن تمن عليه بمثله ، وقد كانت الدنيا تحت قدميه . أما الواعظ فقد ارتاع لرآه لأنه لم ير بشراً كما كان يظن بل رأى هيكللاً لا يكاد يتماصك زاحفاً اليه على قدميه ويديه ، ولولا بريق عينيه لظنه الواعظ بقايا ميت متحركة . لقد ذهب بكل ما كان فيه اليأس والأسى . وطال شعره كما طالت أظافره فأصبح يحكي الاشخاص الخرافين التي يخيفون بها الاطفال .

وكان جو ذلك الحجر الذي كان يعيش فيه فاسداً يقتل الاصحاء . وأسرع الواعظ الى الحاكم والتمس منه بدءاً أخرى لذلك السجن تخفف آلامه حتى يكون لوعظه وارشاده أثر . ولما كان هذا يتعارض مع التعليمات التي يتلقاها الحاكم في شأن هذا الاسير ، فقد رأى الواعظ ألاّ مندوحة له من الذهاب الى العاصمة ليأتمن من الأمير أن يخفف عن



السجين بعض آلامه ، بعد أن بلغ ما بلغه من انحطاط واضمحلال ، فسمح الأمير بذلك ، وهكذا تحسنت ظروف الويسوس وتحسنت حاله .

وفي الأعوام التالية لم يجد العذاب الذي كان يلقيه في أعوامه الأولى ، لاسيما وقد طرحت الأيام بالوزير الذي خلفه وأعقبه في ذلك المركز آخرون كانوا أكثر انسانية ، وقل رغبة في الانتقام منه . ومرت عشرة أعوام على الرجل في سجنه دون أن يقدم الى المحاكمة وانتهى به الأمر الى أن أنعم عليه الأمير بإطلاق سراحه ، على أن يغادر ارض الامارة ، فغادرها الى أمانة أخرى ، وانخرط في صلك الهندية وبرزته مواهبه العسكرية فارتقى في سرعة حتى ارتفع نجمه وتآلق سمعه . أما الأمير فقد كانت نفسه قد تغيرت فأصبح إنساناً لكل الناس ، له قلب ، وله عاطفة ، وودعه كبرياؤه وصلفه ، واتصف بالتواضع والتقى ، وابيض شعره ، وأفرغته رهبة القبر ، وذكر صديق شبابه وتنكيله به ، فبعث إليه أن عد إلينا فنعيد عليك ما كنت فيه ، ونداوي جراحك ، ونعوض عليك ما نالك منا . وكانت بالويسوس رغبة ملحة في العودة الى وطنه فعاد وأحسن الأمير استقباله ، ولكن هذا الاستقبال على روعته كان مؤلماً ، فإن الأمير أخذ يعين النظر فيه كأنما ينكره ، أو يفتش عن ظاهرة في وجهه تذكره به ، وأخذ يعدّ تجميعة وجهه التي كان له الفضل الاول في وجودها .

كان الاستقبال حاراً ولكنه كان ظاهرياً لا اخلاص فيه فان الثقة كانت قد فقدت وإذا ما فقدت الثقة ، فليس الى استعادتها من سبيل . كان كلاهما ينجل من الآخر ويخافه . وشاء الأمير أن يرضى ضميره ، فأعاد الى الوزير مكانته ومجده ، ولكنه لم ينجح في اكتساب حبه ، وصدق ولائه ، وقد كانتا أهم صدمتين ربطت بينهما في الماضي . واحس هذا وتمكن منه هذا الاحساس ، فظل حزينا آسفاً الى ان مات .

\*\*\*

أما الوزير فلم تكن التجارب التي مرت به قد غيرت من صفاته أو أخلاقه ، بل ظل كما كان في أبان قوته ، وعنفوان سطوته ، وواقفه منيته ، دون أن يندم على قسوة أبدأها أو ظلم أتاه ، بل كان كلما ذكر ما حلّ به زاد غلظة وقسوة وظلماً كأنما كانت الذكرى وقوداً لمعطته المتأججة ، وزاد لانتقامه من رماهم تحت رحمته القدر .



## سكرة الموت

يا من متساعدوني في زُعي الأخير . لا تقولوا لي شيئاً  
 بل اجعلوني أنصت الى قليل من الإيقاع حتى أموت بسلام !  
 إن الموسيقى تسكن ، تهيج . وتذكّر الأشياء من عقابها  
 إني أتوسل اليكم أن تحنوا على ألمي فلا تكلموه  
 فاني تعيب من الكلام . ومن مباح ما يجوز عليه الكذب  
 فاني أفضل عليه الألحان التي أحسها دون ما حاجة الى فهمها . .  
 أنشودة تسبح فيها الروح — وبدون مجهود تنقلني  
 من الهذيان . الى الحلم . ومنه الى الموت ...  
 يا من متساعدوني في زُعي الأخير .. لا تقولوا لي شيئاً  
 فلا نعاثي بقليل من النعم يهون علي  
 ستذهبون لا حضار مربيتي المسكينة التي ترعى قطيعاً  
 وستخبرونها إذ ذاك اني أتوق وأنا على حافة القبر  
 أن أسمعها تغني في خفوت أغنية قديمة  
 دارجة مكررة تلمس الشغاف بدون كلفة . .  
 انكم لا بدّ واجدوها فأهل الأكواخ يعيشون طويلاً .  
 وستتركوننا معاً وحيدين  
 وسيلتحجم قلبانا  
 وستغني لي بلسنة مرتعشة ويدها على جيبني  
 وربما كانت عندئذ هي الوحيدة التي تحبني ...  
 على ألحان هذه الأغنية سوف أتجه الى أيامي الأولى  
 حتى لا أشعر في ساعتي الأخيرة أن قلبي يذوب  
 حتى لا أفكر  
 وحتى يموت الرجل  
 كما ولد الطفل ...



# بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِ

## من معجزات العلوم والفنون (١)

### (١) تسخير الهواء ومنافعه

التي تساعد على صك أجزاء الآلات « قطع التغير » والمفاصل الانكليزية والشواكيش . وفي البواخر ، والمدركات ، والدبابات ، والطائرات التي تنتهي مراحلها في ميادين القتال ، يؤدي الهواء المضغوط أعمالاً كثيرة ومنها تنشيط آلات الهبوط وإدارة الونشات والأدوات الرافعة للذخائر الحربية في السفن ثم إطلاق الطوربيد . ولا تتاح وقاية الانفاق الكبرى التي تجتازها القطارات مارّة تحت الأنهار وفي بطون الجبال ، إلاّ بجري ثابت من الهواء النقي الذي يُزوّد به مماها حيث تتناول الشفّاطات الكبيرة ذات الأغشية ، الهواء المضغوط ، ثم تبثّه في الشقوق القاصية لتلك الكهوف التي صنعها الناس ، كما يستعمل في نفخ إطارات السيارات وفي ترطيب التبغ في مصانع السجائر . وربما كانت أشهر منافع الهواء المضغوط

إذا ضغط الهواء ضغطاً يفوق كثافته الطبيعية ، فلامندوحة له عن التمدد عند انطلاقه . وهذا بلا شك سرّ القوة التي تتولد من الهواء المضغوط ، والهواء المضغوط يدير المناقب التي هي من الضروريات لاستخراج الفحم الحجري والحديد . كما يحدّد الهواء في آبار المناجم والانفاق ، ويحول دون تدفق المياه على العمال في خلال حفر المناجم ، ويساعد أيضاً على إدارة دقات السفن التي تنقل القلزم إلى أفران صهرها ، ذات المراوح حيث يحتاج كل فرن منها إلى زهاء ثلاثة أطنان من الهواء المضغوط ، وذلك لانتاج طن واحد من الفولاذ ، ثم إنّ عوآقات القطرات ( فرائها ) التي تنقل ذلك الفولاذ إلى مصانع الذخائر الحربية ، يسيطر عليها الهواء المضغوط . وهذا الهواء عيّن يقوم في هاتيك المصانع بتحريك الآلات المتذبذبة

(١) العلم ينبوع القوة ومبعثها . وهو وحده الذي أفاضها على من نعرف من الأقوياء في العالم والعلم الصحيح هو كشف أسرار الطبيعة وتسخيرها لمصلحة الإنسان ، وما عداه فلم لفظي لا يقدم الآن كثيراً ولا يؤخر — عبد العزيز فهمي باشا — من خطاب معاليه الذي ألقى في دار حزب الاحرار الدستوريين بمناسبة حفلة عيد الجهاد في ١٣ / ١١ / ٤٦



استخدامه في آلات الثقب التي تستعملها فرق ترميم أراضي الشوارع أو في المباني التي تقام على الأرض الصخرية . وتستعمل المصانع الهواء المضغوط لأغراض مختلفة فتستخدم مجاري الهواء الساخن في تجفيف الأغذية ، وبذلك تستطيع أعداد ٢٥ مليون رطل منها ونقلها بالسفن إلى مواضع استهلاكها بحجرة من ٥٠ مليون رطل من المياه ، كانت تحويها قبل تجفيفها ، ويستعمل رشاش الهواء المضغوط ، في صقل الطائرات والسفن والعربات صقلاً متقناً بطبقات الدهان الذي تدهن به بغية تضليل الأعداء الذين يطمحون إلى ضربها من الجو .

ويقوم الهواء المضغوط بإدارة مجرى من الرمل صوب الأجزاء المعدنية ليزيل ما يعتورها من الخشونة وما يغشاها من الصدأ . وفي شركة الكهرباء العامة الأمريكية ترينة هوائية يزعم المطلعون عليها أنها لا مثيل لها في العالم ، إذ تقلد العمل الصحيح الذي تؤديه ترينة بخارية ، وذلك فيما عدا اعتمادها على الهواء المضغوط بدلاً من البخار المألوف ، لتوليد القوة الدافعة لها . وتوجد تحت كثير من شوارع المدن

الأمريكية وغيرها أنابيب هوائية تحرك المراسلات والرسائل البريدية والطرود من مكان إلى آخر ( كما هي الحال عندنا في كثير من مكاتب التلغراف المصرية ) وفي مدائن لندن وباريس وبرلين ونيويورك وبوسطن ، شبكات أنابيب كهذه ممتدة تحت شوارعها لنقل البريد . ويوجد تحت شوارع نيويورك وحدها ٢٥ ميلاً من هذا النوع . وكذلك تحت شوارع بوسطن ستة أميال منها ، وتبلغ الرسائل البريدية التي تنقلها كل يوم شبكة أنابيب الهواء المضغوط في نيويورك أكثر من سبعة ملايين رسالة . وفي بعض المصانع الكيميائية الأمريكية حيث تحدث التفاعلات الكيميائية في درجات حرارة منخفضة جداً ، يضغط الهواء المضغوط المبرد من الرطوبة كل التجريد ، بتحريك الصمامات وغيرها من المفاتيح التي تستهدف للتجمد من الرطوبة ، ويستعمل الهواء المضغوط لتحريك الخضراوات المختلة في محال تعبئتها وفي إبادة الحشرات بالتعفير وفي إدارة أجهزة حلب البقر والجاموس ، وفي إطفاء الحرائق في أمهات الغاز ، وفي تهوية مجاري القاذورات وفيما عدا ذلك من الأغراض

( ٢ ) قنطرة تستخرج الدم

من الأعضاء البدنية الداخلية

نشر حديثاً في أمريكا نبأ طبي طريف هو تمكن بعض أطباء الولايات المتحدة الأمريكية من ادخال قناطر دقيقة جداً في العروق البشرية الممتدة من المرفق الى القلب

مباشرة . و أيضاً بغية صير الطريقة ، تسمى من أي عضو الباحث استكشافها كيميائياً بوظيفته الحيوي مادام ذلك لا يخرج بدم الأعضاء البدنية وما ينبغي الابتداء العج في جسمه ، أخذاً حذوه أو أطلنطة ، عاص هذا الاختراع قط . ثم عكس الطبيب المشهور إذا انتشر بمشور زجاج طيف النور ، السبعة وهي والأخضر والألوان مجتمعة أطوال أمواج



نيويورك ، هو وطائفة من مؤوسيه ، على احياء هذه الطريقة الباهرة وابلاغها مرتبة الكمال . ويعتقد أطباء أطلنطة أنها وسيلة يسيرة ، وإن خيل للناس أنها عسيرة وقد باشرها جميعهم أكثر من ٣٠٠٠ مرة في السنتين الماضيتين ، دون الاستهداف لاية عاقبة وخيمة .

والقنطرة أنبوب دقيق طويل مرن ، يدخله الطبيب في شق يشقه في وريد من أوردة المريض الممتدة في باطن رفاقه ، على أن يراقب ذلك العمل ويشرف عليه ، مشرح حاذق ، حيث يلاحظه بفلوروسكوب مما تظهر عليه أشعة رنتجن ، حتى تصل القنطرة الى البطين الايمن للهرء المزوم اختبار حالته الصحية . ومن القلب يتيسر مد القنطرة الى الأوردة المتصلة بالكبد والكليتين . بيد أنه لم يتيسر الى الآن بلوغ غيرها من الأعضاء .

مباشرة . ومن ثمة الى الكبد والكليتين أيضاً بغية صبر أغوارها جميعاً . ومنفعة هذه الطريقة ، تسهيل تناول الناذج ، كالدّم مثلاً من أي عضو أو منطقة بدنية معينة ، يتوخى الباحث استكشاف حالتها . فيتبين له عند فحصها كيميائياً ، مبلغ قيام العضو المقصود بوظيفته الحيوية واختبار أطواره الصحية مادام ذلك الدم المستخرج بتلك الوسيلة لا يمتزج بدم آخر مما يجري في غيره من الأعضاء البدنية .

ومما ينبغي اثباته في هذا الصدد أن هذا الابتداء العجيب ، ألماني الأصل ، إذا مارسه في جسمه ، منذ بضع سنين ، طبيب ألماني فحذا حذوه أخيراً ، فريق من أطباء مدينة أطلنطة ، عاصمة إقليم جورجيا ، فوصفوا هذا الاختراع ولكنهم لم ينتحلوه لأنفسهم قط . ثم عكف الدكتور أندريه كورنند الطبيب المشهور في مستشفى بلفيو بمدينة

### ( ٣ ) التخاطب بأشعة ما دون الأحمر

في قوس قزح . ولكن العين البشرية تعجز عن رؤية الأشعة الخفية التي في طرفي ذلك الطيف ، كما تعجز عن مشاهدتها في طرفي قوس قزح .

وتتولد الأشعة التي تحت الحمراء أو أشعة مادون الأحمر من مداخن البوارج ومحركات الطائرات والفلات الساخنة مثل مكاي

إذا انتشر الضوء الأبيض انتشاراً تاماً منشور زجاجي ، تمكن المرء من رؤية طيف النور ، وهو خطه المؤلف من ألوانه السبعة وهي البنفسجي والنيلى والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر . وهذه الألوان مجتمعة تمثل النور ، وإن اختلفت أطوال أمواجهما . وهي تشاهد على تفاوت



النياب، ومن الغازات التي تنتشر من أنابيب مادم الحركات، على شكل سحب. وتستعمل هذه الأشعة لأعطاء الاشارات الخفية على أن يكون مبعثها مصباح من المصابيح الكشافية ومستقبلها مرقب من المراقب الخاصة بها. وعلى ذلك لا يستطيع الرقيب (الذي لا يزود بذلك المرقب) الشعور بتلك الأشعة وإن مرّت بجانبه. وتقول هذه الأشعة الخفية، ليلاً ونهاراً وتخترق البخار الخفيف والضوء والضباب والدخان بسهولة.

\*\*\*

ومن الأسرار الحربية التي تم اكتشافها للحلفاء المنتصرين، ولم تدع إلاّ عقب انتهاء الحرب الأخيرة، أن الألمان واليابانيين كانوا يستخدمونها في معاداة جنودهم، عبر الأنهار والأودية والمواضع التي لا يزيد بعد بعضها عن بعض على عشرة أميال وذلك في المراحل الأخيرة من تلك الحرب الضروس، إذ اخترع علماء دينك الدولتين أجهزة تليفونية لاسلكية قوامها أشعة مادون الأحمر، لمخاطبة بعضهم بعضاً، فكان الضابط يعتمد الى ميكروفون فيحدث فيه كيف شاء فتتحول كلماته تواتراً، نبضات كهربية، تحرك مرآة، فتعكس هذه المرآة ما يقع عليها من هاتيك الأشعة الضوئية المتموجة في الأثير، فتلتقطها آلة مستقبلية حساسة بالضوء حيث توجد مرشحات تجمعها خفية وتصيرها كلمات كأصلها. وكانت الآلات المستعملة لذلك الغرض تشبه مصابيح

كهربية كشافية مثبتة على ركائز ثلاثية القوائم تتفاوت أثنائها بين ٣٠ رطلاً و ٢١٠ أرطال انكليزية.

\*\*\*

وقد تيسر لجنود الحلفاء في سنّي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ الاستيلاء على أجهزة عدة من هذا الطراز فأرسلوها الى جامعة نورثوستر حيث تولى فحصها وتحليلها الاستاذان و. س، هكسفورد، و. أ. ه. ويندركوت الصغير، المدرسان في شعبة الطبيعيات. فأصفر بجهنما عن تقريرهما بأن الأجهزة الألمانية كانت نموذجاً لدقة الصناعة إذ تحتوي على وحدات بصرية من صنع مصنع كارل زايس المشهور في مدينة «يينا» Jena. وهذا على حين كانت مثيلاتها اليابانية أمتن منها صنعة ولكن كان ينقصها كثير من التعديلات البسيطة. إذ كانت صماماتها المضخمة للصوت، تقليدياً لأمنائها الأمريكية التي تم صنعها منذ عشرة أعوام. ثم قال الأستاذ هكسفورد إن هذه الوسيلة من وسائل التخاطب اللاسلكي، يتسنى الانتفاع بها في أزمان السلم وذلك في المسافات القريبة التي تكون في اتجاه النظر وهذا بصفتها كونها ملحقة بالراديو. وإذا أتيج تحسينها، أمكن استعمالها في المرافئ البحرية والموانئ الجوية حيث يزخر الجو بموجات الراديو فتتحول دون حدوث الالتباس هناك في الوسائل اللاسلكية.

قلت  
وذلك في و  
« إن استعمل  
تم طبقاً ل  
القواعد الآ  
« وهي  
لاظهار المو  
يصوب ال  
تستعمل هـ  
أعمال مده  
وفي البحـ  
كتصريح  
الكهربية ال  
وسرعا  
إذ وافقنا  
لقد أ  
بالمطارات  
تفاوضهم في  
به جهازاً  
بطائراتهم  
رغم ما يطر  
الجهاز هو  
يحبو الطيار  
بميون كير  
النولوج والفا



## (٤) جهاز رائد لاسلكي يصلح للارشاد في جميع الأجواء

قلت في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ وذلك في وصف الرادار أي الرائد اللاسلكي « إن استخدام الصمامات الكهربائية جميعها يتم طبقاً لقاعدة واحدة أو أكثر ، من القواعد الآتية : -

« وهي توجيه الموجات القصيرة جداً لإظهار المواقع النائية للطائرات المعادية ، كما يصبوب إليها الضوء لكشفها . وسوف تستعمل هذه الموجات في زمن السلم لأداء أعمال مدممة في البيوت وفي الطرق العامة وفي البحار الهاججة وفي المصانع وذلك كتصريح أحد خبراء شركة وصنتهوس الكهربائية الصناعية »

\*\*\*

ومرمان ما تحققت هذه الامنية العلمية إذ وافقنا المجلات الامريكية بالنبا الآتي :- لقد أوتي جمهور المتحمسين للطيران بالطائرات الخفيفة ، حافزاً جديداً يقوي تفاؤلهم في مستقبل الطيران الشخصي . وانهي به جهازاً اخترع حديثاً يتيح لهم الطيران بطائراتهم الخاصة أثناء الليل وأطراف النهار رغم ما يطرأ على الجو من التقلبات . وهذا الجهاز هو رائد لاسلكي خفيف الوزن ، يحبو الطيارين الذين يطرون طائراتهم الخاصة بعبور كهيرة تخرق الأمطار وتمغلغل في الثلوج والظلام والضباب . وهو من مخترعات

معمبة رئاسة اللوازم العسكرية في الجيش الأمريكي . ويزن ١٢٥ رطلاً انكليزياً . ومن ميزاته أنه يفوق قليلاً جهاز الراديو المتري من جهة تعقيد تركيبه إذ أنه يدار بخمسة مفاتيح . ومن غريب أمره أنه قد بنى الكبير البالغ ثقله ٥٠٠ رطل . وذلك بما أدخل عليه من التحسين العظيم ، الذي صيره أنفع من الصنف الثقيل السالف الذكر ذي المفاتيح الأربعة والثلاثين ، الذي كان مستعملاً في الجيش الأمريكي في زمن الحرب السابقة . ولا تتطلب ادارته إلا تحريك مفتاح كهربائي حركة خفيفة ، فيشغل منظاراً لاسلكياً من الأشعة الكهربائية . فيقوم هذا المنظار بالتفرس في أي بعد من خمسة أبعاد . ويبلغ طول كشفها أربعة أميال حيث تظهر صور متألقة ضخمة للأشجار والمدن والأرياف وبه يتسنى أيضاً رؤية الأشباح على بعد ألفاه ٩٠ ميلاً . أما المسافات المتوسطة التي تتفاوت أطوالها بين عشرة وعشرين وثلاثين ميلاً فإنها تظهر للشاهد مناظر مصغرة مختلفة المقاييس تزيد معلومات الطيار في أثناء اضطراب الأحوال الجوية . ويمكن استعمال الشعاع التي تنير الأصقاع التي يهدف إليها الطيار كقياس صحيح يدل على مبلغ حقيقة ارتفاع طائرته أيضاً . وهذا من شأنه تسهيل التقدير في الأقاليم الجبلية



تسهيلاً عظيماً حيث يضؤل نفع المقياس المألوف لذلك الغرض . وبما أن قوام إدارة هذا الرادر الصغير الكشاف ، هي الذبذبات المتناهية في الشدة التي تستخدمها المناثر الجوية القانونية ، وهي كفيلة بالاستدلال على الموانئ المقصورة واتجاهها وبعدها وذلك بعبارات ترميها موجات صوتية تتجلى على ذلك المنظار ، فعلى هذا النمط يكون جهاز الرادر الذي وصفناه معواناً على

الملاحة الجوية ، حيث يمد قائد الطائرة بعيون كهربية ثابتة ومعلومات ثابتة خاصة بموقفه المضبوط من الجو الذي يكون صاحباً فيه . ويقول مخترعه إن هذا الجهاز الذي أطلقوا عليه اسم ا. ب. س. A. P. S. رقم ١٠ هو الحلقة الأولى من سلسلة الرادارات الخفيفة الوزن السهلة الاستعمال التي شرعوا في انتاجها وأولها جهاز وزن ٧٥ رطلاً سيكون أبعد مدى من سوابقه .

#### ( ٥ ) سائل سحري يعجل النمو البدني

تدسر للعلماء حديثاً تنقية هرمون لانماء الجسم البشري ، يتاح به إنتاج جيل من الجبابرة . ومن المحتمل أنه سيلقي ضياء على مشكلة داء السرطان . وقد أسفرت التجارب التي جرت في جامعة كليفورنيا ، عن دليل قاطع ، هو إن مادة واحدة هي مصدر النمو البشري . ونعني بها هرمون النمو الذي تولده الغدة النخمية . وهي غدة صغيرة جداً في قاعدة المخ . وبلغ من عظم مفعولها ، أنها إذا كانت ضوولة إفرازها ، الذي لا يرى إلا بالمجهر ، فإنه يعجل نمو الجسم ، كما ثبت ذلك في الحيوانات التي استعملت للتجربة . ولا عجب فإن . . . من المثير أن يحدث نمواً محسوساً في الجرذان ، على حين أن ثلاثة أضعاف هذا المقدار ، تزيد جراماً واحداً يومياً إلى ثقل الجرذ . وكان الدكتور هيرت م . إيفانز الطبيب بجامعة كليفورنيا ، أول

من استفرد هذه المادة الكيميائية الجديدة ثم استعملت بخاصة لاختبار الحيوانات ، إذ أعدت للتجربة جرذان استؤصلت غددها النخمية فتوقف نموها توقفاً تاماً . ولما بلغت ( من الشيخوخة ) حققت بذلك الهرمون فاستأنفت نموها بأقصى قوة الشباب . واطرد نموها حتى بلغت جرمها ضخماً جداً . وقد دلت التجارب التي جرت في العظام الكسيرة ، أن ذلك الهرمون يساعد الجسم على الاحتفاظ بالنيوتروجين ، بغية تركيب البروتينات تركيباً كيميائياً . والبروتينات هي اللبنات الأساسية للنسيج الحي كله . أجل إن تأثير هذا الاكتشاف في علاج الكسور ، طفيف ، ولكنه خطير الشأن لأنه يلقي ضوءاً عظيماً على الوسائل الأساسية لنمو الخلايا البدنية . ومن ثمة على معضلة داء السرطان .



## (٦) سرا اكتشاف قاتل سوس القمح

تحميها من النهب والسلب وسائل خفية وأن نصيب كل من كان يعتدي عليها الاستهداف للسكوارث أو الموت العاجل لا محالة — هذا الاعتقاد هو من المذاهب العتيقة الخاطئة الواسعة الانتشار . هـ .

\*\*\*

هذا ما آثرت الاستشهاد به على اعتقادي بأن قاتل سوس القمح هو ذلك المسحوق عينه كما سيثبت فيما يلي : —

روت جريدة الاجبشن مايل في ١٥ مايو ١٩٤٣ ما يأتي : —  
« سر مدفن أحد الفراعنة يساعد على إطعام الجيش » .

أذاعت شركة الصناعات الكيميائية الامبراطورية في أحدث تقرير أصدرته أن الأسرار التي كشفت في أحد مقابر الفراعنة ، تكفل صون اهراء الحنطة من السوس فتضمن تغذية الجيوش البريطانية المربطة في أرجاء الشرق الأوسط .

\*\*\*

وقد تبين العلماء عند فتح أحد المقابر الفرعونية منذ أعوام ، أن القمح الذي وجد مدخراً فيه كان صالحاً للتغذية الصحية . وحينئذ عمدوا الى تحليل بنية ذلك القمح تحليلاً كيميائياً فتحققوا أنها تحتوي على

قلت في مقال نشرته في إحدى المجلات في شهر مارس سنة ١٩٤١ بعنوان اللعنة الفرعونية الجهنمية على لصوص المقابر المصرية ما يأتي : —

قال الدكتور G. O. Kimama كينامان العالم الأميركي الأثري المشهور وهو أحد الأحياء القلائل الذين كانوا أول من وُلج مدفن توت عنخ آمون ، وذلك في خطبة ألقاها في مدينة هوستون بولاية تكساس إن المذهب القائل أن أولئك الرجال ماتوا من لعنة الفراعنة ، هو من الخرافات المحضة . ومع ذلك فاللعنة وقعت ولكنها ليست روحية كما يتوهمون . واعتقادي أن قبر توت عنخ آمون قد عولج عند تمام تشييده ، بغبار مسحوق سام . وإن كل ركن من أركانه ، وكل شيء من الأشياء التي وجدت فيه ، قد ذُرَّ عليه ذلك المسحوق الزخاف ، فلما دخل أعضاء الجمعية التي اكتشفت القبر ، ولجّه الهواء النقي أيضاً في الوقت عينه فأثار نومه السام ، فتشقه فأنحوره .

ولما انتابهم المرض فيما بعد ظهرت عليهم أعراض تشبهها في التهاب الرئوي فعولجوا بعلاجه فلم ينجع فيهم الدواء فاستعمل الداء حتى قضى عليهم . فلا اعتقاد بأن مقابر ملوك مصر القدماء ، كانت



مسحوق ناعم جداً يقتل سوس القمح .  
وأهم عناصر ذلك المسحوق هما فسفات  
الجير وكبريت العمود المصريان والطن منهما  
يساوي الآن عشرة جنيهات إنكليزية . وبهذا  
الطن تتاح وقاية مائة طن من البُر .

\*\*\*

ويسمى جل اكتشاف سر هذا التركيب  
الكيميائي الجديد ، القديم ، لعالم مصري من  
علماء الحشرات في القاهرة هو الأستاذ  
الدكتور رزق عطية .

وقالت جريدة المصري في اليوم نفسه  
ما يلي : —

وجد العلماء بعد تحليل التراب الذي  
في مقابر الفراعنة أنه يحفظ القمح من  
التعفن ( كذا ) و ( الأصوب أن نقول  
السوس ) وبذلك أمكن حفظ مقادير هائلة  
( كذا ) والصواب عظيمة منه في مستودعات  
لتموين الجيوش البريطانية في الشرق الأوسط .  
ومنذ سنوات ذهب العلماء الى هذه المقابر  
للبحث عن السبب في أن القمح الذي دفن فيه  
ملوك قدماء المصريين بقي سالماً ولم يتلف الى  
اليوم . وقد أسفرت أبحاثهم عن اكتشاف  
مسحوق لقتل السوس . وحضره الدكتور  
رزق عطية الأستاذ في علم الحشرات المصرية  
وقد بدأ تجاربه بمواد أخذها من الأرض  
المصرية

\*\*\*

وقد أننت الصحف البريطانية اليوم

على الدكتور رزق عطية أجل الثناء لأنه كان  
واسطة لإطعام الجيوش البريطانية « وأيدت  
سائر الصحف المصرية هذا النبأ في حينه

\*\*\*

وعقدت جريدة « الديلي ميل » فصلاً  
لقتت فيه الأنظار الى البحوث التي يقوم  
بها الدكتور رزق عطية من كبار  
المتخصصين في علم الحشرات بوزارة الزراعة  
في القاهرة قائلة أنه هو الذي اخترع ( قاتل  
السوس ) لحماية القمح من آفاته المهلكة .  
ثم أشارت الى ما ذكره أحد رجال ( شركة  
الصناعات الكيميائية الامبراطورية ، من  
أن ( قاتل السوس ) مصنوع من مواد موطنها  
مصر وأن التجارب دلت على أنه ذو أثر فعال  
في الأجواء الجافة .

\*\*\*

وتلقت وكالة الأنباء العربية من لندن ،  
إنه ينتظر أن يصل الى مصر قريباً الدكتور  
كوين الخبير العالمي بالحشرات الزراعية  
للبحث مع وزارة الزراعة والسلطات المتحالفة  
بشأن خزن القمح في الشرق الأوسط .  
ومما جاء في هذا النبأ ، أن اكتشاف  
الدكتور رزق عطية ، الذي تقدم ذكره  
يرجع الى تجارب أجراها في قبور الفراعنة  
وعثر فيها على قمح يرجع الى قرون متعددة .  
فتبين له أن التراب الذي يحيط بالقمح يحتوي  
على خواص معينة لحمايته .

قلت

سنة ١٩٤٦

العلوم والفن

عنها الحر

الكهربية

أثناء غياب

ريما يعود

الجهاز عليه

وقد ج

حديثاً ، يوم

الى قرائنا

وافقت

التي استشارت

ضم الجهاز

الى التليفون

إذ نصحت

أقواله وذلك

الطاء « في حد

أوتوماتيك

أعطوانة تسم

وقتشئ . وقد

التي تصنع ها

منها حتى أو

جهاز بما فيها

وما ينبغي

للتلغراف وال

جزء ٣



## (٧) الجهاز المسجل للحديث التليفوني

هذا الاختراع عند بدء ظهوره ، محتجة بأنه سيعبث بالسرية الواجبة في المحادثات التليفونية . ومع ذلك فإن هذه الشركة مادت فأعلنت أنه ما دامت سرية الحديث ، ستكون مصونة كما يجب ، فلا اعتراض لها على القيام بخدمة ممتازة لمشاركيها الذين ينفون سجل دائماً لتدوين ما يفضون به لخطابهم . وكذلك لقيد ما يقال لهم تليفونياً في حينه . وهي تكفل إتمام هذا المشروع بثلاث وسائل . وهي أولاً - جهاز أوتوماتيكي ينبه على الصوت إذ يولد إشارة واضحة تتكرر في فترات وجيزة في أثناء المحادثة في حالة قيام المسجل بعمله .

ثانياً - وجوب وضع علامة نجمة أو أية ممة مميزة ، تجاه اسم المشترك التليفوني الذي يستعمل الجهاز المسجل للكلام ثالثاً - قيام الشركات التليفونية وصناع الأجهزة المتقدم وصفها ، بالتضافر بعضها مع بعض ، في سبيل نشر هذه الأجهزة وتعليم الجمهور معنى الأشارات التحذيرية . ثم أعلنت أيضاً اللجنة التي نحن بصدددها ، أنها إنما تؤيد استعمال الأجهزة السالفة الذكر التي توصل بخطوط التليفون ، لا الأجهزة التي تلتقط الأحاديث عن طريق ميكروفون يوضع بقرب مماعة التليفون .

عوض هنري

مج ١١٠

قلت في مقال نشرته في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ تحت عنوان « من معجرات العلوم والفنون » ومن المخترعات التي أسفرت عنها الحرب الماضية ، استعمال الصمامات الكهربائية ، لتدوين المحادثات التليفونية في أثناء غياب صاحب التليفون ، عن مسكنه ، ريثما يعود إليه في أية ساعة ، فيتلوها ذلك الجهاز عليه بصوت جهوري .

وقد جاءتنا المجلات العلمية الأمريكية حديثاً ، بوصف الجهاز المشار إليه ، فنزفه إلى قرائنا نقلاً عنها فيما يلي : -

وافقت اللجنة الحكومية الأميركية المتحدة التي استشارتها وزارة المواصلات هناك بشأن ضم الجهاز المسجل للأحاديث التليفونية إلى التليفونات مشترطة لذلك شرطاً واحداً إذ نصحت للمتكلم ، بملازمة الحرص في أقواله وذلك إنه عند شروع المخاطب « بكسر الطاء » في حديثه ، تصدر من الجهاز إشارة أوتوماتيكية ، تحذر المستمع بأن هناك أسطوانة تسجل عليها كلماته التي يفوه بها وقتئذ . وقدرت الشركات الأميركية الثلاث التي تصنع هاتيك الأجهزة عدد ما تم صنعه منها حتى أواخر سنة ١٩٤٦ بنحو ١٩٠٠٠ جهاز بما فيها المستعملة لدى القوات الحربية . وما ينبغي ذكره أن شركة أمريكا للتلفون والتليفون لم تدخر وسعاً في مقاومة

(٣٠)

جزء ٣



# مكتبة المقتطف

رباعيات عمر الخيام

بقلم توفيق مفرج — ١٢٨ صفحة بالألوان

منذ أكثر من خمس عشرة سنة أخرج الأستاذ توفيق مفرج كتابه «آلام وأحلام» الذي ضم مجموعة من خواطر المؤلف أرسلها شعراً منظوراً في نغم متساق وماطفة جياشة، وكان لي نصيب الاشارة بذلك الكتاب في هذه المجلة وقتذاك، ثم مضت الأعوام والأستاذ توفيق مفرج في عزلة عن قرّائه حتى طلع عليهم أخيراً بكتاب جديد عن رباعيات عمر الخيام. طبعه على ورق جميل بالألوان وزينه بواحد وثلاثين رسماً عن حياة عمر الخيام. وليس الكتاب ترجمة لرباعيات الخيام، وإنما اتبع المؤلف فيه غير ما اتبع كثير ممن نقلوا إلى العربية هذه الرباعيات سواء عن الإنجليزية أو الفارسية... فقد درس المؤلف فلسفة الخيام دراسة تعمق واستوعب في نفسه هذه الفلسفة والاتجاهات الخيامية ثم خرج من الجو الخيامي بروح ونغم جميل.

فهو قد وضع رباعيات الخيام من خلال فلسفة الخيام، شرب كأسه فاستطاع أن يؤلف من النشوة التي أخذ بها أناشيد جديدة فيها خمر معتقة قديمة، لها جمال الجديد في تصويره وجلال القديم في تعبيره. ولقد قال في المقدمة النفيسة التي صدر بها تلك الرباعيات: «لقد درست الفارسية خصيصاً لاستيعاب الأصل الفارسي»، ثم استعنت بالوضع الانكليزي، الذي وجدته بعيداً كل البعد عن الأصل الفارسي... إلى أن لم أترجم عمر الخيام ترجمة حرفية، ولم أتحمر الكلمات والجل، ولم أحرص على مراعاة الأصل، بل أخذت المعنى ووضعت وضعاً جديداً، حتى إذا شئت أن تعود به للأصل الفارسي فقد لا تجد تشابهاً أو تقارباً أو تعاضفاً بين الأصل والفرع.

«لقد نزع عنها الثوب الفارسي»، وألبستها بالعربية روح الخيام الشاعر الفيلسوف. لقد سكبت روح عمر الخيام في روحي، ومزجت نفسه في نفسي، وأطلقت روحي إلى الحياة من ذات النافذة التي أطلقت روحه منها.



هذه هي الطريقة التي انتهجها الأستاذ توفيق مفرّج فأحسن النهج ووفّق في الوصول إلى أفق الخيّم ، وشرب من كأسه فانتشى ، ولم تأخذه النشوة الساحرة دون أن يستطيع التعبير الصادق عن تلك الروح التي فتنت الكثيرين وخلدت في آداب الأمم بفلسفة وشعر خالدين على مرّ الزمان . واننا لنعتمد صدور هذا الكتاب فتح جديد في اللغة العربية . ويكفي تقرّظاً للكتاب الرسالة التي أرسلها رفعة النحاس باشا إلى مؤلفه بعد اطلاعه عليه وهي منشورة على غلافه الخارجي .

مسن لامل الصبر في

### صور من التاريخ العربي

للاستاذ نقولا زياده : ٣٠٤ صفحات « دار المعارف في القاهرة »

تحضرني وأنا ماضٍ في الحديث عن كتاب ( صور من التاريخ العربي ) كلمة ذكرها فيلسوف الفريكة المرحوم أمين الريحاني يوم جاس ديار نجد باحثاً منقّباً ، وعندما حملته الركائب إلى ( القاع ) في قصيم نجد قال رفيقه ( بداح ) .

« والله يا هذال ان بلاد نجد عجيبة » فأجابه ( هذال ) بقوله : وأعجب منها يا بداح نحن الذين نعرف ما فيها !

والواقع أننا كأمة ناشئة تنشوف الى الاستقلال ، وتصبو الى تحطيم الأغلال ، وتنطاع الى فجر يوم جديد مقصرون جداً في معرفة أحوال بلادنا والوقوف على الأحداث التاريخية التي مرت بها ، وعلى النقيض منا الغربيون فهم قوم يختلفون عنا بعداً يهتم التأمّة ببيوتهم ومدارسهم ، إذ يوجهون النشء إلى مدارس البيئة وما يلبسها ويصدر عنها ، ولهذا الغرض عينه تعنى المدرسة والأسرة الغربيتان بتنظيم الرحلات العلمية فيطوف الطلاب الناشئون في البلاد عرضاً وطولاً ، يتنسمون أخبارها ويستروحون آثارها ، ويتدارسون معالمها ومادات سكانها في مختلف نظم الحياة ، بينما نحن معاشر العرب ندعو إلى امبراطورية شاملة ونهتف باسم مصر والسودان ، ولحج وعمان ، ونسعى الى تحرير طرابلس ومراكش من ربة الاجنبي دون أن يعرف أكثرنا أين تقع طرابلس ! وفي أي الاقاليم تقع تونس !

ولكن الأستاذ نقولا زياده هذا الشاب الفيلسوف الواعي راد بقاع سوريا الطبيعية ساحلاً وداخلاً ، وعقد الفصول الضافية عما شاهده في رحلاته الممتعة من آثار بعلبك وتدمر وجرش والبتراء وأماكن تاريخية لها قيمتها الاستراتيجية في تاريخ العرب وفتوحهم كالسهول التي جرت فيها معارك ( مؤتة ) و ( اليرموك ) و ( حطين ) و ( عين جالوت ) وضمها في كتاب أخرجه للناس تحت عنوان « صور من التاريخ العربي » قال في مقدمته :



« أيها القارىء الكريم ! في التاريخ العربي قاعات قلّ داخلوها ، وسبل قلّ طارقوها ، وزوايا قلّ والجوها ، وفي هذه القاعات والسبل والزوايا خير كثير ، لو أنصفها الناس ! وهذه الصور التي أقدمتها لك هي ثمرة جهد بذل في سبيل التعرف إلى تلك النواحي المهجورة من تاريخنا !

ولقد لقيت في جمعها متعة ولذة ، رأيت ان لا أحرمك منهما ، وآمل إن أوفق إلى إثارة رغبةك في الكشف عن صور مماثلة لها وما أكثرها . . . »

وفصول الكتاب رحلة شهيدة الفوح ، معطرة الجنبات ، نظم عقدها الأستاذ زيادة وراح يتنقل بالقارىء من فنن إلى فنن ، ومن أيكة إلى أخرى ، فهو يقف بك في مدينة انطاكية ، ويسير بك إلى كنائسها الجميلة المزخرفة بالجص المذهب والزجاج الملون والبلاط المجزّع ثم يصطحبك إلى أسواقها المستطيلة ومبانيها الجميلة ويتابع سيره إلى حلب الشهباء عاصمة بني حمدان فيصفها وصفاً مغرياً مستحباً . . . ويسير إلى دمشق المدينة الخالدة خفيفاً طائراً ، ويحيط عصا تسياره في ندوة طبيعتها الشهير البيرودي فيجد الحديث قد دار حول الخصال المفروض توفرها في الشخص الذي يود ان يكون طبيباً ، وبعد أخذ ورد في أصول الموضوع وفروعه يبارح الرحالة الفلسطيني ندوة البيرودي الى مؤتمر مدرسين عقد في أحد أبهاء دمشق ، وفيه دار حديث هادىء وتقاش مستمر حول الغايات التي يجب أن يضعها المعلم والمتعلم نصب أعينهما ، وما هي الآلة حاضرة حتى ترى المؤلف قد هبط القاهرة وحضر جلسة عقدت في مسجد السلطان حسن اقتصر فيها البحث حول ( كاتب الديوان ) والشرائط التي يتحتم توفرها فيه .

وكانت إحدى الصور النفيسة التي طالعنا المؤلف بها عزلة الامام الغزالي في بيت المقدس وحلقات الوعظ التي كان يعقدها في المسجد الأقصى المبارك ، وكان من همة الأستاذ زيادة أن عهد الرحال الى أبرز الاماكن الاثرية في بلاد العرب ، وراح يحدثنا بلباقة المؤرخ الخبير وأسلوب المحقق المعتدل ، عن صلة كل موضع زاره بالفتح الاسلامي الاول ورجاله الغر الميامين الذين كونوا من شتات البدو دولة ، وبعثوا من جوف الصحراء حضارة ، ونفخوا في قلوب العرب من روح الله ، فطمحوا الى ملك كسرى وهم جياع ، ومموا الى عرش قيصر وهم عراة ، وصمدوا لحكم العالم وهم صندج !

وفي آخر فصول الكتاب يطالعك المؤلف بصفحات مطوية من تاريخ العرب تناول فيها غفو معاوية ودهاءه في استقبال نسوة من العرب ناصبته العداة في سبيل نصرة الامام علي ، وحلم المأمون الى آخر هذه اللوحات الزاهية من صور السلف الصالح !

هذه إلما  
يقلب صور  
الأستاذ زياده  
المؤلف تبد  
المؤمن إلى بل  
ركب الحضار  
( بيت المقدس )

قبل أن  
منذ فجر نهضة  
نجد لنا المعاد  
كان سامي  
ثم تلاه شوقي  
وقد كان  
عبريتها في ش  
وكما اخت  
انتهت المدر  
أما المدر  
برواد الشعر  
فضل التوجيه  
باسم « أبو  
وصالح جودت  
أما شكر  
الصحيح لتذ



هذه إلمامة عابرة عن كتاب يزيد في شموخ العربي واعتزازه بأمتة ومفاخرها عندما يقلب صورته، ويتلو فصوله، ويستعرض لوحاته، وتوصلاً للهدف القومي الذي يرمي إليه الأستاذ زياده في مؤلفه النفيس أقول لأخواني من الشباب العربي المثقف: تعالوا سيجو مع المؤلف تبدل لكم حقائق تعلقها الغربي عنا ملتوية مشوهة وميروا مع هذا الشاب العربي المؤمن إلى بلاد أنبتت منها نور النبوءات والمكرمات تروا أنكم أحفاد شعب طيب صار في ركب الحضارة قدماً فكان المجلي الموهوب.

(بيت المقدس — فلسطين)

البروي الملقب

### ثلاثة دواوين

١ — لبالي الشاطيء: الأستاذ مصطفى عبد الرحمن — القاهرة

٢ — المرائس: للأستاذ إبراهيم العريض — البحرين

٣ — وابل وطل: للأستاذ يعقوب إبراهيم عبوديا — بغداد

قبل أن نتكلم عن هذه الدواوين الثلاثة نلم في سطور قليلة بمدارس الشعر ومذاهبه منذ فجر نهضته الحديثة مستخلصين من تلاحم هذه المدارس واختلاطها ببعضها ببعض خيوطاً نحدد لنا المعالم بوجه التقريب. وقد نكتفي بخيط واحد عن خيوط كثيرة.

كان سامي باغا البارودي هو الفجر الرائع لأحياء الشعر العربي القديم بروعته وجزالته، ثم تلاه شوقي وحافظ والزهاوي ومطران . . . .

وقد كان شوقي أعلاقة تمخضت عنها المدرسة القديمة وكانما وضعت تلك المدرسة كل عبقريتها في شوقي لتتحدى به الأجيال، بل لقد تحدى شوقي المدرسة الحديثة بتمثيلياته الشعرية وكما اختتمت العصور الوسطى أروع ختام بشكبير ومؤلف (دون كيشوت) كذلك انتهت المدرسة القديمة بموت شوقي انتهاءً رائعاً كما تغرب الشمس وسط أبدع مشاهد الغروب. أما المدرسة الحديثة فنجد بذورها عند مطران وعبد الرحمن شكري متأثرة أحياناً برواد الشعر في الشام والمهجر. فعلى شعر مطران نشأ ناجي وعلي طه وأبو شادي وللآخر فضل التوجيه أكثر من فضل الانتاج على المدرسة الحديثة، إذ أنشأ مجلة الشعر المعروفة باسم «أبوللو» التي كانت معرض نتاج هذه المدرسة من الشعراء المحدثين أمثال الهمشري وصالح جودت والصيرفي والشابي (أبو القاسم الشابي).

أما شكري فقد أنشأ مدرسة قوامها العقاد والمازني — اللذان وضعنا بنقدهما الأساس الصحيح لتذوق الشعر الحديث، وكما كان مطران صمد مدرسة بأكملها تقريباً فقد جاء العقاد



عماد مدرسة على حدة تمتاز بتعمق الفكرة وتبعمها واستقصائها دون العناية الواجبة بالخاطر الشعري (Emotion) ما دام المعنى جديراً بالقول موسوماً بالابتكار وتعتبر ملحمة العقاد (ترجمة شيطان) أبداع مبتكرات تلك المدرسة وقد انتظمت هذه المدرسة تقريباً جميع شعراء دار العلوم.

والدواوين الثلاثة التي بين أيدينا هي صدى من قريب أو بعيد لهذه المدارس المتفاعلة في مصر والبلاد العربية، وهي برهان على أن الاقطار العربية تعيش في جو ثقافي واحد رغم تقسيمها السياسي.

أما أولها وهو ديوان (ليالي الشاطيء) فهو امتداد لمدرسة الممشرى وناجي ولكنه مطبوع بطابع خاص هو الطابع الغنائي. وإذا قلنا أن كتاب الاغاني يحوي طائفة من الاشعار تتميز بطابع خاص عن بقية الشعر العربي فان ديوان ليالي الشاطيء لا قرب إلى الرقة الغنائية من أي ديوان آخر، إسمعه يقول :

آه لو تسمعني أشكو الجوى يا حبيبي آه لو تسمعني  
وترى القلب ونيران الهوى ولظاها بات يرمى بدني

ثم يقول : —

أيها الشاطيء قد طال بنا أمدُّ البعد ولما نلتقي  
أين أيام قضيناها هنا مشرقات من سناك المشرق  
أتعودين مع الصفو لنا راقصات يا ليالي الزورق ؟

\*\*\*

أما ديوان العرائس الأستاذ ابراهيم العريض فيذكرنا بشاعرين من نبغاء الشباب هما أبو القاسم الشابي والبيجاني يوسف بشير، وشعر هذا الديوان مع ما تركه هذان الشاعران ثروة ومعين لا ينضب لمدرسة الشعر الحديث. وفي ديوان العرائس نجد الصور الجميلة الفاتنة والمعاني المشرقة النابضة تحتال أحياناً وتتراقص أحياناً في أنغام غاية في العذوبة، وجمال الإيقاع. ولا يمكن أن نسمع أو نقرأ قصيدة من هذا الديوان دون أن نحس بأحاساس يرفعك عن مستوى الأرض إلى دنيا الجمال السامي، بينما تستروح روحك طبعاً دفينا في الأحقاد. اسمعه يناجي إبلته :

طبت يا ليالي نفضاً فافهمي ليس كالشاعر في الناس مُعْنِي  
هو من أحلامه في جنّة فإذا حدث عنها قيل جُنّا



كلنا طائر في قفصٍ إنما يُطلقه المجدود منّا  
لودرى الضاحك في سكرته أنه يشرب دمعاً لتأثني ١١  
ومن غزله الرقيق :

أربني ناظريك فما صحا قلبي بإدمانه  
لا سبرُ فيهما غور المحيط وراء شطآنه  
وخلتي خدك الوردية يفتنني بألوانه  
لأنثر فوقه قبلاً وأطفي بعض نيرانه ١١

\* \* \*

أما ديوان «وابل وطل» فرغم أنه وصلي من بغداد وإن شاعره يعيش في العراق فانك لو جهلت شاعره ومنبته لنسبته إلى شاعر في مصر أو الشام ، فرغم أن بغداد كان يجلب فيها إلى عهد قريب شعر الزهاوي والرصافي عليهما رحمة الله . ورغم أن المذاهب الشعرية هناك لا تتصارع بالعنف التي تتصارع به في مصر والشام . إلا أن ديوان «وابل وطل» قدم لنا برهاناً قاطعاً على أن التطور الشعري ينتظم الاقطار العربية كلها ، وإن البراعم المنثورة في هذا الديوان هنا وهناك ، والحنان والانفعال المشبوبين بين الأبيات والمقاطع ، تجعلنا نأمل خيراً في هذا الشاعر ، ولسوف يطلع علينا بديوانه التالي وقد تفتحت أزهاره ووروده عن أريج يعطر أرجاء الاقطار العربية فضلاً عن العراق .

ومن صوره الشعرية :

ملأت يدي اليمنى بلؤلؤ أدمعي وقلبي في يسرى يدي ذبيح  
ومن شعره المفعم بالحنان :

يا زهرات البنفسج العطر بالله لا تسأمن من ممري  
قد ضقت ذرعاً بليالي وبذي السكواكب الزاهرات والقمر  
قد ثقلت وحدثني علي وقد جددت الذكريات لي حزني  
ما أروع الذكريات حافلة تشغلي في اصطفاها الحسن  
تدب فيها الحياة في صور تفرحني تارة وتحزنني ...

واننا نلاحظ على هذه الدواوين ندرة أشعار المديح والمناسبات وهذا مما يفهم نفوسنا بالأمل والغبطة إذ نرى ما نادينا به منذ سنوات في ديواننا [أغاريد] قد استجابت له أنفس الكثيرين من الشعراء في الاقطار العربية ، واننا لسعداء إذ نجد اخواناً يشاركوننا نفس الآمال والمشاعر في كل قطر عربي .

محمد فرهمي



## فهرس الجزء الثالث

من المجلد العاشر بعد المئة

١٦٣	التعليم والتربية : امتاعيل مظهر
١٦٧	النظائر وكيمياء النواة : جريس الشرايحه
١٧١	الرادار كيف يشتغل : نقولا الحداد
١٧٦	النار (قصيدة) شاعر البراري
١٧٧	الأدب الرخيص
١٧٩	احمل قلمك واتبعني : عيسى ابراهيم الناعوري
١٩١	الحضارة واختلاف الطبائع : ع. ش.
١٩٥	العلامة اللغوي الأب انستاس ماري الكرملي : محمد فالح توفيق
٢٠١	كيف تحفظ صحتك - عيناك : فهمي عطا الله
٢٠٢	أنعام باكية (قصيدة) : غفيفي محمود غففي
٢٠٣	الحرب والسلام : جريس القسوس
٢١٩	ظلمان (قصيدة) : محمد فهمي
٢٢١	القدر : تأليف ج. شلر : ترجمة عبد المنعم صادق
٢٢٦	سكرة الموت (قصيدة) للشاعر الفرنسي سوللي برودوم ترجمة ج. توفيق هرا
٢٢٧	باب الاخبار العلمية * من معجزات العلوم والفنون (١) تسخير الهواء ومنافعه (٢) فترة تستخرج الدم . (٣) التخاطب بأشعة مادون الاحمر (٤) جهاز رائد لاسلكي يصلح للارشاد في جميع الاجواء (٥) سائل سحري يجعل النمو البدني (٦) سر اكتشاف قاتل سوس القمح (٧) الجهاز المسجل للحديث التليفوني : عوض جندي
٢٣٦	مكتبة المقتطف * رباعيات عمر الخيام : حسن كامل الصيرفي . صور من التاريخ العربي : البدوي الملم . ثلاثة دواوين (١) لبالي الشاطيء (٢) العرائس (٣) وابل وطل : محمد فهمي

لحق

١ - ٤٨ المسرحية عند شوقي : تأليف محمود حامد شوكت